

# البرص والجنون



مصطفى محمود

# السيرة النجيلة

www.alkottob.com

## مقدمة

رسائل كثيرة جاءتني أثناء نشر « المسيح الدجال »  
يسأل أصحابها .. هل يجوز لأحد أن يدخل أحدا في  
الجنة أو النار .. وهل يجوز لأحد أن يدعى العلم بنتيجة  
الحساب في الآخرة .. وهل دخل أحد في علم الله أو اطلع  
على الغيب .. وهل هذا الكلام من الدين •

وقد أخطأ الذين قرأوا روايتي بهذا المفهوم وأرى لزاما  
على أن أوضح فليس ما كتبت دينا ولا علما بل هو فن  
وخيال وأسطورة وهو يدخل في باب الفانتازيا والرؤى •

والرواية كوميديا سياسية تستخدم هذا الاطار  
الفانتازي لتنقد شخصيات وآراء ومذاهب ولتخوف من  
مصير الظلم والظالمين ولتورد العبرة والحكمة والعظة  
ولتلمس لها مداخل سهلة الى القلب •

وليس فيما كتبت دعوى علم أو دعوى نبوءة بل هي  
آراء قد تخطيء وقد تصيب وخيال لا يشبه الواقع في  
شيء •

أفضل ما سره في حياتك

الصفحة عدوك .. والصبر على شخصك

والإخلاء لصوتك

والقدرة الحسنة لطفلك

والإحصاء لوالديك

والإحترام لنفسك

والمحبة لجميع الناس

الغلاف : بريشة الفنان مصطفى حسين

وقد نكون نحن في هذا اليوم المشهود أسوأ حالا من كل من نقدناهم نعوذ بالله من المقت والابعاد •

انما هو الفن •• والفن الخير •• الذى لا يريد سوى التحبيب فى الخير والتنفير من الشر ••

ولم أكن فى يوم من الأيام رجل دين بل أنا فنان دخلت الى رحاب الدين من باب الفضل الالهى ومن باب الحب والافتتاح وليس من باب الأزهر وكان حكى حكم الشاعر الذى أحب الله فكتب فيه قصيدة وبنى له بيتا ولكنه ظل دائما الفنان بحكم الفطرة والطبيعة •• ذلك الفنان الذى مملكته الخيال والوجدان •

والفن كان دائما ضعفى وقوتى •

ومثل كل فنان كان للجمال على مداخل •

وكنت ابن آدم الخطاء •

ولهذا لم أدع لنفسى عصمة •

ولهذا ما رأيتنى نازعت أحدا خطأنى ولا كرهت أحدا صوبنى •• بل عهدت نفسى دائما أراجع ما أكتب وأصحح

فيه الطبعة بعد الطبعة •• وأقبل بصدر مفتوح نقد الآخرين •• فان رأيتنى كتبت صوابا فمن الله وان كتبت خطأ فمما سولت لى نفسى •

بهذه الروح أحببت دائما أن يقرأنى الناس فما تصورت نفسى أبدا مفسرا لقرآن أو حاكما فى قضية فقه أو شريعة وانما هى محاولات فهم من مفكر دوره لا يزيد على اثاره العقل واخراجه من رقاده وايقاظ القلب من مواته ، وتفتيحه على محبة الله فان استطعت أن أحمل رجلا مبتعدا الى العودة الى طريق الحق •• والى فتح المصحف •• فهذا غاية رسالتى ومنتهى مرادى وأقصى دورى •• أما ما يبقى من شأن تفقيه هذا الرجل فى دينه فهذا دور العلماء الأجلء والمتخصصين وحسبى أنا أنى قد جئت به الى بابهم وأثرت حبه وفضوله وأيقظت استعداده فما أنا بالعالم ويخطىء من يقرأنى على أنى عالم بل أنا مجرد فنان محب ينتهى دوره عند اثاره حب الحق والحقيقة فى قلب قارئه وفى هذا فليحاسبنى القراء والنقاد ولا أكثر •

وعن ضعفى وأخطائى لا يملك الا الله أن يرحمنى واليه أتوجه فى كل لحظة لا يكف لى خوف ولا رجاء •

هذه المضامين العالية دون أن يفقد مواصفات الفن  
وجاذبيته • وخفة روحه ولطافته •

وتلك هي رسالتي ••

وذلك هو مكاني الذي أحلم به على رقعة المستقبل ••

وأحسب أن هذا حال توفيق الحكيم حينما يكتب في  
الاسلاميات أو طه حسين حينما يكتب في السيرة أو العقاد  
حينما يكتب في القرآن فمثل هؤلاء لا يحاسبون كفقهاء  
ولا أحد يقرأ لهم كما يقرأ للشافعي وابن حنبل وأبي حنيفة  
وانما نقرأ لهم كفنانين ومفكرين يحدثوننا عن الله بلغة  
جديدة فيها جلوة الفن فيستطيعون أن يجتذبوا بهذه اللغة  
فراشات مبتعدة غافلة لم يكن من الممكن أن تصل إليها  
لغة ابن حنبل أو أبي حنيفة •

ولا شك أن قلم توفيق الحكيم حينما تناول قصة أهل  
الكهف قد خرج عن نص القرآن وأضاف الكثير من الخيال  
وانطلق وشطح فلم يقل أحد •• هل ما كتبت لنا من  
الدين •• بل قرأناه جميعا على أنه فن وحاسبناه على مراده  
وأهدافه •• أما الشكل والاطار فتلك مواصفات يحكم  
فيها الفن والتفنن وتتحكم فيها أصول الحرفة والصناعة •

والفن أعظم جهاز دعاية للدين بشرط ألا تقيده •• وما  
أحوج الانسانية اليوم في عصر المادية والالحاد الى فن  
يأخذ المسرح من العرى والعهر والهزل والفحش ليقدم  
فنا يدعو الى الخير والعدل والحق والله •• فنا يقدم

المسيخ الدجال

مضت على الرجل عشرون سنة وهو يتعبد الله في صومعة عند رأس الجبل حتى اشتهر في القرية بأنه الرجل المبارك وكان أهل القرية البسطاء يصعدون له بالطعام ويقبلون يده ويأخذون منه العهد ويحملون له المرضى ليشفيهم والأطفال ليدعو لهم •

ولكن الله كان يعلم أن هذا الرجل فاسق رغم صلواته وصومه وعبادته وانه يحب الدنيا حب العباداة رغم عزوفه الظاهر عنها فما صعدت اليه امرأة جاره بطعام الا تطلع الى ساقها وخالس النظر الى تكوير ثديها وتدوير ردفها وبياض نحرها واحمرار ثغرها ودموية خدها •• وما سجد بعد ذلك الا وتراءت له المرأة في القبلة وما رقد لينام الا احتلم بها وضاجعها حتى قضى منها الوطر وشفى الغليل •

ولهذا كان اذا افترش سجادته ورفع يديه في تكبيرة الاحرام قائلاً •• الله أكبر •• ردت عليه الملائكة قائلة •• كذبت والله •• فان أى امرأة عندك أكبر من الله •• فاذا قرأ الفاتحة وقال اياك نعبد واياك نستعين •• قال الله •• كذبت يا شيخ المنافقين فما ايانا تعبد وما ايانا تستعين •

ولهذا رغم العشرين سنة من الصلاة والصوم والعبادة  
لم ينزل الله عليه الملائكة بالبشرى كما يفعل مع الأولياء  
الصادقين وإنما أنزل عليه ابليس •

وجاءه ابليس فى صورة نور باهر بين السماء والأرض  
وقال له •• أنا الله •• فانتفض العابد مذهولاً وقال ••  
سبحانك ربى •

قال ابليس :

— لقد رفعنا عنك التكليف يا شيخ — من اليوم أعفيت  
من التكليف فلا صلاة ولا صوم ولا زكاة ولا حلال  
ولا حرام •• غفرنا لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر •• افعل  
ما تشاء فهو عندنا مقبول •• وحسبك النية •• اذا جمعت  
امراً بنية أنها زوجتك وجامعتك بنية أنك زوجها فأنتما  
عندنا زوجان •

قال الشيخ وقد صادف الأمر هوى فى نفسه :

— وماذا يكون من أمر زوجها ؟

قال ابليس :

— يكون هو الزانى الملعون •

قال الشيخ وهو يهرش لحيته سعيداً بهذه الشريعة  
المريحة :

— تمام •• تمام يارب •

قال ابليس :

— وما تحتاج اليه من مال الآخرين فهو مالك وحلالك  
وما تصبو اليه من محارمهم فهو حريمك ومن يتبعك منهم  
فهو ملك يمينك تفعل به ما تشاء •• وعليك أن تدعو لهذه  
الشريعة الجديدة التى نسخنا بها شرائع التوراه والانجيل  
والقرآن وخففنا بها على الناس ورفعنا عنهم الحرج •• فلا  
حرج على من يطلب حراماً أن يستحله بنية الحلال فيفعل  
ما يهوى وان خالف ظاهره باطنه •• تلك هى وصايانا  
الجديدة وعليك بالدعوة لها •

قال الشيخ فى خوف :

— ولكن كيف أدعو لهذا الأمر الذى يحطم جميع  
الشرائع ولا حجة فى يدي ؟

قال ابليس :

— سنجرى على يديك الكرامات •• خذ •• هذه عصا



— خذ هذا القلم واكتب به فتصبح أكبر كاتب في زمانك  
يقرأ لك الملايين ويتبعك الملايين •

ثم عادت السماء فأظلمت فجأة واختفى النور الباهر •  
ونظر الشيخ الى القلم في يده •• وفتح كراسة وبدأ  
يكتب فاذا به يكتب قصصا ومسرحيات ومقالات وأشعارا  
تخلب القلوب وتحرك الأفئدة •

\*\*\*

تلك هي الجوانب الخفية من حكاية ذلك الفيلسوف  
الفنان الذي ظهر فجأة يدعو الى العيث والانحلال والوجودية  
بأسلوب خلب به لب الشباب وامتلكت عليه عقله ثم نادى  
بسقوط الشرائع وأعلن حرية الانسان وأعلن حق الانسان  
في اشباع جميع شهواته والاستمتاع بجميع لذاته ما دامت  
يرضى ودون اغتصاب ونادى ببدء عهد جديد من الجنة  
الأرضية •• حيث لا عمل للرجال الشطار الا فض الأبار  
وأكل الثمار على شواطئ الأنهار •• وشعار الجميع •• عاتق  
وانكح ما دامت تسمح •• وطالب بالجهاد الجديد المتمتع  
وذلك بخروج جيوش من الرجال لغزو قلوب النساء لاحتلال  
المخادع وافتراش المحارم •

تنزل بها المطر وتندق بها الأرض فينبع البترول •• وتمشى  
بها على الماء وتعبر البحر وتركبها الى أقصى الشرق  
والغرب فتصل الى ما تبغى في لحظات •• وتضرب بها  
على رأس عدوك فتميته ثم تضربه ضربة أخرى فتحويه ••  
خذ •• وجرب •

وأمسك الشيخ بالعصا في رهبة •• وتردد قليلا •• ثم  
دق بها الأرض فنبع البترول •• وأشار بها الى السحب  
فأمطرت وركبها فحملته كالريح الى أقصى الأرض في ثوان ••  
ونزل بها الى البحر فمشت به ومشى بها كأنه على يابسة  
وضرب بها على رأس خادمه فمات لساعته ثم ضربه مرة  
أخرى فعاد الى الحياة •

فانبسطت أسارير الشيخ وبدا عليه الانبهار •• ثم عاد  
ليقول بعد تفكير :

— ولكن كيف أدعو الى هذا المذهب الجديد •• وأنا  
لا أجيد الخطابة ولا أتقن حرفة الكلام ولست فنانا  
ولا كاتبًا •

فقال ابليس :

وقامت القيامة على الرجل وطالبت كل النظم برأسه  
فخرج على الناس بهذه العصا الخرافية التي يسقط بها  
المطر ويخرج البترول ويمشي على الماء وينتقل كالبرق  
حيث يريد ويضرب بها فيجيب ويميت •

وقالوا هو المسيح الدجال الذي يظهر آخر الزمان فيدعو  
الى الفسق والفجور والفساد ويؤيده ابليس بالخوارق •

وقالوا بل هو ابن الله الوحيد •

وقالوا بل هو الرب •

وصادفت دعوته هوى الكثرة وشهوات الجماهير  
فاتبعوه •

وجادله أولياء عصره فغال بهم وما غلبوه •

وغرقت الأرض في الفساد الا قليل ممن لزموا بيوتهم  
وأغلقوا عليهم الأبواب اتقاء للفتن •

ثم شاءت رحمة الله أن يظهر المسيح الحقيقي في مكة ••  
وأن يسلطه الله على هذا الدجال فيقتله ويرسله الى أسفل  
دركات الجحيم •

وانما تبدأ قصتنا بعد مقتل الدجال ونزوله الى الدرك  
السابع من جهنم •• فننزل معه الى هذا الدرك الملعون ••  
لترى ما كان وما سيكون من شأن هذا الأفك الأثيم في  
هذا الجانب المحجوب من عالم الآخرة •

\*\*\*

مر الدجال في نزوله الى قرار الجحيم على أبواب الجنة  
الثمانية ثم عبر وادى الأعراف بين الجنة والنار ثم هبط  
الدركات السبعة ليصل الى أسفل سافلين •

وكانت الحكمة من تمريره على الجنة أن يشاهد بعينه  
ما حرم منه فيزداد حسرة على حسرة وندما على ندم •

رأى في الجنة الحور العين وقصور البللور التي تجرى  
من تحتها أنهار من نور ورأى النخيل والأعناب والرمان  
ورأى بحر الكوثر وعيون السلسيل فما وجد لما رأى  
وصفا ولا نعتا ولا واته حرفة الكلام في أن يجد لما  
يشاهد تعبيراً •• وانما هي أشياء تلتقى مع أشياء الدنيا  
في الأسماء فقط دون أن تقارنها أو تقاربها •

ورأى القصور في الجنة بينها الملائكة بالحروف ••  
ينطقون حروفا بصيغ خاصة فتبرز تلك القصور من عدم

وتقوم على قواعدها من لا شيء وقد كستها حلال باهرة من الزخرف مما لا يخطر على بال فنان ولا يحلق اليه خيال مبدع •

ورأى أهل الجنة يتنقلون عبر المسافات بلا وسائل •• وانما يطرون بما فيهم من شوق ذاتي يحملهم بأسرع من الضوء الى حيثما يريدون •

ورأى أبواب الجنة الثمانية وأعلاها باب الرضوان حيث يرى المشاهدون وجه ربهم ويكلمهم ربهم وينظر اليهم وتلك أعلى درجات النعيم •• وقد ضرب عليه العمى والبكم والصمم وهو يمر بهذا الباب فلم ير ولم يسمع شيئاً لأنه محجوب •

وأدنى أبواب الجنة هو باب المآكل والمشارب والروضات والأنهار والينابيع حيث ترتع الطباء والفراشات والطواويس وحيث تغرد الطيور بأجمل ما سمع من موسيقى •• وأهل هذه الجنة يكلمون الفراشات والورود والأشجار فتد عليهم •

أما جبل الأعراف فمكانه بين الجنة والنار وقد رأى فيه المفكرين والمصلحين ممن بحثوا عن الحقيقة وسعوا

اليها باخلاص وعرفوا ربهم لكن قعدت بهم بشرتهم عن بلوغ الكمال الخلقى الواجب فوقعوا في المخالفات وتساوت سيئاتهم وحسناتهم فأرجأهم ربهم الى يوم يبت فيهم برحمته •

أما الجحيم فهي نار كبرى ليست كما نعلم من نار وليس بيتها وبين نار الدنيا من تشابه الا في الاسم •• وما يكاد يدخلها الداخل حتى يضرب بينه وبين عالم الرحمة بسور لا مخرج منه •

ولهذه النار هزيم كهزيم الرعد ولها تغيظ وفوران وليس فيها بقعة ظل وأهل هذه النار يأكلون ويشربون ويتلاعنون ويقتل بعضهم بعضاً فلا يموتون ونار أحقادهم الداخلية أشد مما هم فيه من سعير وهي أحقاد وشهوات لا تخبو كما لا يخبو ما هم فيه من سعير الا ليضطرم من جديد •

ومن أبواب هذه النار باب الزمهرير حيث تتجمد العيون في المحاجر وتتجمد الأنفاس في الصدور من شدة البرد •

ومن أبوابها باب الويل حيث تترصده الداخل النكبات فلا يقر له قرار ولا يهدأ له بال فالسما تتساقط والأرض

تتزلزل والماء يفيض اذا طلبته والثمار تجف اذا مددت لها يدك .

وكلما كان صاحبنا الدجال يبلغ بابا كان يقول لمرافقه .. أهذا مقرنا .. فيقول مرافقه وهو مالك كبير ملائكة جهنم .. لا ليس بعد .. حتى بلغ به الى الدرك السابع وهو درك أسفل السافلين وفيه ابليس وجنوده والملاحدة والمنكرون وعباد الأوثان وأئمة المادية الجدلية والفراغة الجبارون وقوم عاد وثمود وقارون وهامان ونيرون وستالين وماركس ولينين وهتلر وسالازار ومونجستو .

وأشار اليه مالك قائلاً .. هنا مقرك .

وتلفت الدجال حوله فرأى بين الحضور وجها يعرفه .. فهمس لمالك .. أليس هذا هو صاحبنا الذي بنى السد العالى .. قال له مالك .. نعم هو بعينه وقد افتتحه قائلاً في خطبته ، اليوم نروى حقولنا دون انتظار لما تأتينا به السماء من مطر .. فأحبط الله ما صنع وجاء المشروع نكبة على الزراعة في مصر بما سلب من طمى وبما أصاب الأرض من نشع دائم .. وبما أصاب تيار النهر من ضعف عند مصبه فهجم الماء المالح على سواحل الدلتا فأتلّف

ألوف الفدادين وتآكلت الجسور وسقطت بسبب خفة الماء وانخفاض منسوب النيل بسبب النحر الدائم للشيطان .. ثم جاءت الطامة الكبرى بالاغارة على السد في الحرب العالمية الثالثة ومحاولة ضربه من الجو مما هدد بفيضان بحيرة ناصر واغراق البلاد وهلاك الملايين .

قال الدجال .. ولكن الرجل كان زعيماً قويا وكان مهاجراً وأعلى كلمة مصر أليس كذلك ؟

قال مالك .. بل أعلى كلمة نفسه .. وقال أنا .. وسخر مصر لهذه الأنا وجمع حوله الجلادين والسفاحين وقطع الألسن وكمم الأفواه وألقى الأبرياء في السجون وعذب الخصوم حتى الموت وضرب الطبقات بعضها ببعض وأشعل الأحقاد وانفرد بالكلمة آثماً معتزاً باثمه الى أن مات .

قال الدجال .. لا يصح أن ننسى حسنات الرجل .. لا يصح أن ننسى له مجانية التعليم وتشغيل جميع الخريجين .. و ..

قال مالك .. مجانية التعليم دون توسع مناظر في عدد الفصول والمختبرات معناها عدم التعليم ومعناها تكديس الألوف دون أن تكون لأحد الفرصة في أن يفهم شيئاً ..

وتشغيل الخريجين بدون ايجاد اشغال معناها البطالة  
لا العمالة .. لقد كان الرجل كذابا يتكلم عن الرخاء  
والبيانات تحت يديه تقول ان الاقتصاد تحت الصفر ..  
وكان يتكلم عن الكرامة وأرضه محتلة وكان يتكلم عن  
الحرية والألسن مقطوعة والرقابة تركب الأكتاف .. ولقد  
احبط الله كل أعماله فالأرض التي أخرج منها الانجليز  
دخلها اليهود والقناة التي أممها ردمها والوحدة التي أعلنها  
انقلبت انفصالا والتحرر من أمريكا انتهى الى الوقوع في  
قبضة روسيا .. ومن عجب أن صاحبك الذي حارب في  
الكونغو واليمن والسودان والجزائر وحرص كل الشعوب  
على تحطيم كل العروش .. هذا العبد الناصر حينما واتته  
الفرصة الذهبية للحرب في مصر .. بلده .. انسحب ..  
— سوء حظ يا مولانا .. اجتهد الرجل فأخطأ .. خانته  
رجالته ..

— ومن اختارهم .. أليس هو .. أكان زبائنه يلقون  
بأناس في السجون ويعذبون الأبرياء ويهتكون الأعراض  
ويمثلون بالخصوم وهو في غيبوبة .. هل خرج أكثر من  
ثمانين من القضاة مفسولين من ظائفهم تحت انفه دون أن

يدري .. هل انسحب مائة ألف جندي دون أمره .. انك  
تدافع عن الرجل لأنه كان مثلك ..

قال الدجال .. مثلي كيف ؟

قال مالك .. نعم مثلك تدعو الى الله وتعصيه وتحمل  
رايته وتمزق منهجه عامدا متعمدا مدر كما لما تفعل ..

— ولكنى كنت ضحيتكم .. لقد أرسلتم الى ابليس  
فخدعنى .. وأجريت على يدى الكرامات وأعطيتمنى  
عصا أمشى بها على الماء وأسافر بها الى أقصى الأرض ..

— لقد أعطينا كفارا مثلك أقمارا صناعية ومراكب نزلوا  
بها على القمر وسفنا ذهبوا بها الى المريخ وهم الآن نزلوا  
في غرف مجاورة ان الله يرزق المؤمن والكافر وهو يعطى  
كل سائل طلبته .. وحينما رأيناك تسجد فلا تطلب في  
سجدةك الا اللذة والغلبة أعطيناك اللذة والغلبة .. وأرسلنا  
اليك قرينك الذي يشبهك .. ابليس الذي لا يفكر الا في  
نفسه مثلك ..

— أما كان ممكنا أن تنزلوا على جبريل رحمة بي ..  
فضحك مالك وهو يدفعه في قفاه قائلا :

– ان بينك وبين جبريل ما بين الأرض والسماء ..  
جبريل نور وأنت نار .. ولا مجانسة بينكما في شيء ..  
انما يتنزل القرناء على بعضهم البعض بحكم المجانسة ..  
ولو تنزل عليك جبريل وكلمك لما سمعته لبعث الشقة  
واختلاف الذبذبة بينكما .. وقد كان الله يكلمك طوال  
العشرين سنة من العبادة المزيفة فلا تسمعه .. وكان ابليس  
يهمس اليك فتستجيب له بكل أعضائك وتزاول شهوتك  
وأنت ساجد .

– نعم .. نعم .. لا تذكرني .. لقد فعلتها مرة وأنا  
ساجد في الرحاب الأقدس في النجف الأشرف بالعراق ..

– نعلم ذلك .. وكانت هذه المرة هي التي رشحتك  
للزعامة التي أنت فيها .. فقد قالت الملائكة ساعتها ..  
هذا هو الدجال الذي يأتي آخر الزمان فلا يصلح الا للجنة  
ولا تصلح اللعنة الا له .

– وقد تنزل على ابليس بعدها وتعاهدنا وأخذ على  
الميثاق .

– نعم .. وما كان يصلح لهذه المنزلة السفلى غيرك ..  
وقد اطلع الله على شرك منذ البداية .

– ولكن ما ذنبي وقد خلق الله لي سرى الملعون هذا .  
– ان الله لم يخلق لك شرك ولم يخلق لأحد سره ..  
بل خلق الله لك اليد والقدم واللسان والعقل والقلب لتعبر  
وتكشف عن شرك ومكنونك .. انما شرك فيك منذ الأزل  
ومن قبل أن تولد ومن قبل أن تخلق – لم يمسه أحد  
ولم يتدخل فيه .. انما انفرد الله بالاطلاع عليه فحسب .  
– وأين كنت في الأزل ؟

– كنت في هذا العالم .. كنت في الجحيم بالامكان  
وهذا أنت تعود اليه بالفعل .

– ألم أكن عدما ؟

– كنت عدما ولكن لم تكن معدوما .

– لا أفهم .

– هذا ما تسمونه عندكم الوجود بالقوة والوجود  
بالفعل .. كنت حقيقة سفلية « بالقوة » ثم أفصحت وأبنت  
وانكشفت في عالم الدنيا وبما أجراه الله عليك من بلاء  
وابتلاء فأصبحت حقيقة سفلية « بالفعل » وبذلك حقت  
عليك الكلمة .

– أما كان يمكنني الخلاص من سرى هذا أو اصلاحه ؟

– لو أنك سجدت لله مخلصا وتوجهت اليه صادقا طالبا أن يظهر لك ويصلح شرك .. لأصلحك الله وغيرك .. والله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ولكنك لم تطلب ذلك أبدا .

– نعم .. بل كنت أتلذذ بهذه النار في داخلي وأمدتها بخيالي وتمدني بحرارتها فلا نشبع من بعضنا أبدا .

– نعم لقد اخترت النار حقا وصادقا وعدلا فجعلها الله من نصيبك .. ولا يظلم ربك أحدا .

وراح الدجال يتلفت حوله ثم قال وهو يشير الى رجل طويل :

– أليس هذا هو الرفيق ثقيل الظل باناماريوف عضو اللجنة المركزية بالاتحاد السوفيتي ؟

– نعم هو بعينه وهو زميلك في زنازة الأبدية التي ستحل ضيفا عليها .

– أعوذ بالله اني لا أطيقه .. ان صحبة زبانية الجحيم أرحم منه .

– ولهذا اخترناه الك .

– انه رجل لا يكف عن الكلام .. ولا يفهم حرفا منا يقوله ولا يشعر بما يقول .. ويظل يطارذك بالسخافات حتى تفقد عقلك .

– هلا عرفتكما ببعضكما .

– أرجوك يا مالك .. اقبل يديك ورجليك .. القنى الى النار الذرية .. ولا تلقى بي الى هذا السخف المطلق .

– حسنا .. لم يأت وقت الزنازة بعد .. ولا داعي للعجلة وأمامنا جولتنا .

قال الدجال مسترحما :

– ألا يمكن أن أرافق نجوى فؤاد أو سهير زكى .. أو حتى شريفة فاضل .. بدلا من هذا التيس ثقيل الظل .

– ياه .. هذا تواضع كبير من الشيطان العتل الذي توخ العالم « المسيح الدجال » بلحمه ودمه أن يتصور نفسه في مستوى كباريات شارع الهرم .. ظلمت الفتيات والله .. ومن يدريك ربما يكون الله قد ختم لاحداهن بتوبة وقبل منها عملا صالحا تغير به مصيرها .

— نعم لقد ذكرتني .. لقد رأيت منيرة المهديّة في الجنّة ونسيت أن أسألك •

— تلك امرأة استحقت من الله الرحمة فقد عاشت الى أرذل العمر وانتكس حالها ففقدت صوتها وجمالها ومالها ودولتها وصبرت على بلاء الشيخوخة وتابت الى الله توبة نصوحا .. والله يقبل توبة التائبين •

— ولكنى رأيت زناة سكيرين في الجنّة كما رأيت زناة وسكيرين في النار ولم أفهم كيف افتقرت بهم المصائر مع أنهم ارتكبوا نفس الأفعال •

— هؤلاء مذنبون من أهل الانكسار وأولئك مذنبون من أهل الاصرار .. أما أهل الانكسار فبكوا وندموا وتابوا وأما أهل الاصرار فتمادوا وأصروا وكابروا .. وهناك زناة أسوأ اتخذوا الزنا تجارة ثم هناك أسوأ من ذلك الذين اتخذوا الزنا مذهبا يروجون له علانية ثم هناك الأسوأ من الكل الذي افتري على الله كذبا وادعى بأنه أباح الزنا .. وقال لكل من يراه .. لا عليك .. اذهب فقد رفع الله عنك الحرج .. عاتق وانكح ما دامت تسمح .. وذلك هو سيادتك .. وهكذا ترى أن الذنوب منازل •

قال الدجال — هلا طلبت منك خدمة بالله ؟

قال مالك — ما هي ؟

— أن تقابلني بابليس الذي خدعني وأوردني المهالك لأصفي معه الحساب •

قال مالك — انا ذاهبان اليه بالفعل .. والعجيب أنه هو الآخر يطلب رؤيتك •



لقاء مع الشيطان

كان الطريق الى الشيطان ينزل عدة درجات عبر ممرات  
حلزونية مظلمة الى ساحة مبطنة بالجمر الملتهب .. والأرض  
كلها مفروشة بالجمر ويخرج من الجدران والأرض وهج  
أحمر مخيف .

وفي وسط الساحة وعلى عرش من نار يجلس ابليس  
وهو نفسه قبضة من جهنم .. كل شيء فيه .. عيناه ..  
جبهته .. يده .. جلده .. أنامله .. كلها تشع نارا .

وقام الشيطان حينما رأى الدجال وأسرع اليه وعانقه  
بشدة حتى صرخ :

— أعوذ بالله .. هذا حريق وليس عناقا ..

فقال الشيطان :

— هذا هو الكى الشافى الذى تستخدمونه عندكم  
لعلاج الكبد والطحال والروماتزم .

— متشكر .. لست أشكو من الكبد ولا من الطحال  
ولا من الروماتزم .. والجمر عندكم يكوى المفاصل بما  
فيه الكفاية .. يا حفيظ هذا المكان لا يطاق .

– لقد قلت لي ان هذه هي الشريعة الجديدة  
فصدقتك •

– في شرع أى عقل وكيف يجوز مثل هذا الكلام على  
إنسان بل على حيوان •

– لقد قلت لي أنا الله •

– لقد كنت تعلم انى أهزل •• وقد فهمت بفطرتك كل  
شيء من أول لحظة ولكن الحكاية استهوتك وجاءت على  
مزاجك وأعجبتك اللعبة فسأيرتنى حتى آخر الشوط •

– والعصا السحرية التي ضحكت بها على •

– ان عصا أصغر منها من عصيكم مركب فيها مخ  
الالكترونى تستطيع أن ترسل صواريخ تعبر الفضاء وتتحكم  
فيها وتوجهها •• وأنتم بعلمكم تنقلون قلوب الموتى الى  
الأحياء •• فما هي تلك العصا التافهة بالنسبة لمنجزات  
العلم البشرى •• انما هي لعبة •• وقد فهمت بمكرك انها  
لعبة •• وأردت أن تضحك بها على الناس •• صدقتني  
انى أشعر بالخجل من تخلفنا الشيطاني في فنون المكر ••  
لقد سبقتمونا كثيرا •• ولقد سبقتنى بدرجة هزت ثقتى

– صدقتنى هو أفضل بكثير من الزنزانة المخصصة لك  
مع زميلك باناماريوف فقد اختار لك الله موقعا في الجحيم  
أسفل من مكانى ••

– أنا أسفل منك ؟

– بكثير •• صدقتنى •• أنا وجنودى وجيشى هواة  
مبتدئون بالنسبة لسيادتك •• نحن شياطين ديكور شياطين  
ورق بالنسبة لمكرك العظيم وعلتك العظيم في فنون الشر •

– انت •• أنت ابليس الزعيم تقول هذا الكلام •

– وأكثر ••

– أنت الذى خدعتنى ومكرت به وأوردتنى هلاكى •

– لا يا شيخ •• هل تريد أن تفهمنى انك صدقت انى

أنا الله رب العالمين •

– طبعا صدقت ولهذا أطعتك •

– وهل هناك رب يطلب من عبده أن يترك الصلاة

والصوم والعبادة وأن يزنى وأن يأكل مال الغير وأن يدعو

الى الفجور والفسق علنا •• ازاي ••

بنفسى وهزت مركزى أمام القيادات الشيطانية لدرجة كادت تدفعنى الى الاستقالة •

— الى هذه الدرجة ؟

— نعم وأكثر فنحن فى عصرك وبفضلك أصبحنا جيشا من الشياطين العاطلين •• أشبه بجيش التشريفة الذى يشى خلف الجنازات بلا عمل •• فماذا تجدى فنوتنا التقليدية مع أساليبك الجهنمية ان أقصى ما كنت أستطيعه فى مسألة الاغراء الجنسى أن أرسل جنودى يوسوسون للناس بالخواطر الشهوانية •• أما أنت فماذا فعلت •• لقد أنشأت محطة خاصة للأقمار الصناعية تذيع لجميع أجهزة التلفزيون •• الأوضاع الثمانية عشر للعملية الجنسية •• وقلت فى مقدمة هذه السلسلة •• انك تقدمها خدمة للعلم وكدراسة أكاديمية ليستفيد منها الأزواج فى تحصيل اللذة بأفضل وسائلها •• وطبعا أنت تعلم انه لم يتابع هذه السلسلة الا المراهقون •• أما الأزواج فكانوا يعلقون أجهزة التلفزيون بسبب الملل الذى يعيشون فيه •• وهكذا فسد الجيل كله وأصبحوا مثل قرود الجبلية •• كل شباب مشغول بعضوه التناسلى ••

ولم تستطع الرقابة أن تتحكم فى الأمواج التلفزيونية

فى الهواء ولم تستطع أن تمنع هذا الفيض من الفحش الذى كان ينتشر عبر الفضاء بلا موانع •• أين نحن من هذه الأساليب •• لقد اتتهينا يا مولانا •• لقد جاءنى شيطان صدر منذ شهور كان يعمل فى قسم التهريب فقص على قصته ثم اتحر •• فماذا تظن كانت قصته ••

— ماذا كانت ؟

— كان مكلفا بمرافقة أحد المهربين المحترفين •• وكان صاحبنا هذا يفكر فى تهريب مليون جنيه سرقها من أحد البنوك واقترح عليه الشيطان أن يدفنها فى الأرض مدة حتى تنسى الحادثة ثم عاد فاقترح عليه أن يهربها فى صناديق الفاكهة ثم عاد فاقترح عليه أن يضعها فى أنبوبة العادم فى سيارته الشيفروليه •• أو فى كيس بلاستيك فى خزان البنزين •• ولكن صاحبنا ابتسم لهذه الاقتراحات الساذجة وأصاح بيده فى عدم مبالاة •• ثم ماذا فعل •• اشترى بالمليون جنيه طابع بريد تذكارى نادر •• ثم وضعه على خطاب عادى وأرسله تحت أعين جميع الشرطة والمخابرات •• واتحر الشيطان غما •

أما الحادثة الثانية فكانت لشيطان آخر يعمل فى قسم تهريب المخدرات وكانت المشكلة هى تهريب عدة أطنان

لآدم .. فهنا كان جنس من المخلوقات اذا أراد الشر تفوق شره على الجميع واذا أراد الخير تفوق خيره على الجميع .. لقد كان يجمع القدرات كلها في يديه بحكم النفخة الربانية .. ولكننا لم نفهم الحقيقة حينذاك وغلبنا كبرياءنا وغلبتنا شقوتنا وحققت علينا اللعنة ..

ولكن اليوم لا بد من وقفة صراحة ..

ولا يمكن الاستمرار في الكذب الى الأبد ..

لقد قررت الاستقالة من زعامة الافساد وتسليمك خاتم الملك ووضع جنودي في خدمتك .. وهذا عرش النار تقدم واجلس عليه واحكم دولة الظلمات ..

أما أنا فما أنا إذا أسجد لك بعد فوات الأوان ..

وسجد الشيطان لآدم الشر والفتنة « المسيح الدجال » بعد مليون سنة من الاباء والكبرياء ووقف الدجال مأخوذا لحظة مختالا بهذا التسليم الفجائي ثم عاد يربت على رأس ابليس مغمغا :

— قم يا صديقي المسكين اجلس على عرشك .. لم يعد فينا منتصر ولا مهزوم ولا حاكم ولا محكوم بل نحن

من مادة L.S.D ومعلوم أن مللي جرام واحدا من هذه المادة يكفي لتخدير أسرة وفكر الشيطان الذكي وفتح ذهنه ثم اقترح تهريبه في زجاجات الملح ثم عاد فاقترح تهريبه مذابا في برطمانات المربي .. ثم عاد فاقترح تهريبه مذابا في زجاجات المياه المعدنية .. واستمع المجرم المحترف الى كل هذه الخواطر الشيطانية ثم أزاحها جانبا وفكر في وسيلة جهنمية .. أن يضع المادة المخدرة في الصمغ اللاصق في خطابات المعايدة والتهنئة .. وما على المدمن الا أن يلحس الصمغ اللاصق بلسانه فيحصل على الجرعة المخدرة .. يومها جاءني ذلك الشيطان وظل يلطم وجهه حتى فقأ عينه ..

وهل يخطر لشيطان مها بلغ من القسوة أن يعذب بريئا في سجنه فيكوى جلده وينزع أظافره وينفخ بطنه ويعلقه من قدميه ويضع الخوازيق في الأماكن الحساسة من جسده ويطلق عليه الكلاب ويهدده بالملابس الداخلية لبنته وزوجته ليجبره على الاعتراف .. كما فعلت عصابة صاحبكم الذي بنى السد العالي ..

.. يا مولانا أتمم لم تتركوا لنا فنا الا سبقتونا فيه .. وكان رب العزة والجلال على حق حينما طلب منا السجود

جميعا الآن في التبضة الالهية .. ولقد خبنا جميعا وخاب  
سعينا .. واذا كان لى رجاء فهو رجاء واحد .

– اطلب وأنا في خدمتك .

– أن تخلصنى من هذا التيس الروسى باناماريوف ..  
أرجوك .. أقبل يديك وقدميك .. خذه يعمل عندك في  
قسم الالحاد .. انه داعية مفيد جدا .. خذه في فرع  
المادية الجدلية انه متخصص لا يشق له غبار .. خذه في  
ستين داهية انه رجل لا يطاق .. انه انسان آلى بدون مخ  
كلامه يرفع ضغط دمي .. نبرة صوته الخشبية بتعمل لى  
تصلب شرايين .. أنا في عرضك .

فقال ابليس وقد أسقط في يده :

– هذا أمر ليس فى يدي .. ألم تسمع الصوت الذى  
ارتجت له السموات .. « لمن الملك اليوم » وكيف أجاب  
الملائكة فى صوت واحد .. « لله الواحد القهار » يا سيدى  
نم يعد لنا حكم اليوم ولا تصرف .. وصحبة هذا  
الباناماريوف صدرت عليك من الأزل .. ولا رحمة ولا  
استئناف .

– ولكن صحبة هذا الانسان الحجرى عذاب لا يطاق .

– وهل يراد لك الآن الا العذاب .. وهل ينتظر  
الا البؤس الأزلى .. وانت الذى غلبت الأبالسة ..

– صدقت .. لا مفر .. الأمر لله ..

ولكنه عاد فقال فى أمل :

– ولكن ألا يمكن أن ألتقى بعبد الحليم حافظ أو أم  
كلثوم لأروح عن نفسى قليلا فى هذا الغلب .

فقال مالك : ان عبد الحليم رجل غلبان والله عفا عنه  
بما أصابه من بلاء المرض فى حياته وأم كلثوم دخلت فى  
حجاب الذين خلطوا عملا سيئا وآخر صالحا عسى الله أن  
يتوب عليهم ..

ولكن عندنا مارلين مونرو اذا كان مزاجك اليوم فى أهل  
الفن والطرب ولكنها فى الدرك الثالث من جهنم فوقك  
بأربع درجات ولا يمكن أن تصعد اليها ولا أن تنزل هى  
اليك وأنت فى أسفل سافلين .

– ألا يوجد فى أسفل سافلين أحد من الفنانين أو  
المطربين أو الملحنين .

– هناك بعض كتاب المادية الجدلية والفلاسفة  
الدجالين والمؤلفين الذين احترقوا افساد الناس عن عمد

وعن قصد .. وهناك العسلاء الذين روجوا الباطل للكسب والاتجار .. وهناك الطغاة والجبارون .. وهناك السفاحون الذين عذبوا الأبرياء في السجون مثل الروبي وحزرة البسيوني أما الفنانون بمعنى الفنانين أهل الفن الجميل فهؤلاء مرحومون بحكم اجتهادهم في ابداع كل جميل والكفرة والفساق منهم نجدهم في الدرجات الأولى والثانية والثالثة من جهنم وذلك تخفيف من رب العزة على كل من ابداع جميلا في الحياة .. ومن أهل أسفل سافلين أيضا اليهود الذين حرفوا التوراة والانجيل وأخفوا الآيات واستبدلوها .. وزورا وابتدعوا وافتروا على الله الكذب .. ومنهم قتلة الأنبياء .. ومنهم السحرة الذين أغروا الناس بسحرهم وعبدوا الجن والشياطين .. ومنهم السامري الذي صنع العجل الذهب وأضل به قوم اسرائيل .. ومنهم السمروود الذي ألقى بابراهيم في النار .. ومنهم الجبارون الذين أحرقوا النصارى في الاخدود .. وفيه هولاءكو وهتلر وستالين وكل عمالقة التخريب في العالم وفيهم منجستو الذي قتل ألف طالب في يوم واحد ..

— أعوذ بالله .. دى جيرة مهيبة .

— صفوة الشر والبغى فى التاريخ .

— الله يطمئناك .

— شد حيلك .

— بيدو أننا لن نعرف السلام هنا أبدا .

— لا سلام هنا ولا راحة وانما حرب أبدية وقتال أزلى بلا غاية وبلا هدف ودون أن ينتصر فريق على فريق .. وانما الكل يعذبون بعضهم بعضا بحكم طبائعهم .

— يا حفيظ .

— انما السلام فى دار السلام .. حيث النفوس من نوع آخر .. نفوس مشغولة بالحب وباعطاء الحب .. ويتبادل الحب .

— ألا يمكننى أن أتسلل الى واحة الحب هذه فى غفلة من الحراس .

— لن تستطيع أن تعيش هناك لحظة واحدة فأنت نفس مختلفة من نوع مختلف .. ان لذاتك فى الدجل والمسكر والشر والاختلاس والسرقة والاحتيال والايذاء .. ولو خرجت من الجحيم سوف تصبح مثل سمكة خرجت من الماء .. ان مكانك هنا .. وقدرك أن تقارع الأشرار

مثلك ويقارعوك وتقائلهم ويقائلوك وتحسدوهم ويحسدوك  
وتخونهم ويخونوك وتحقد عليهم ويحقدوا عليك وتغدر  
بهم ويعدروا بك •• ولا نهاية لهذه الدائرة المفرغة من  
الشر فهذه حقائقكم ولا تستطيع نفس أن تعطي غير حقيقتها  
ولا يمكن لآباء أن ينضحوا إلا بما فيه •

— ألا يمكن أن يعطينا ربنا فرصة أخرى لتتوب

ونعمل صالحا •

— لو رددك ربنا الى الدنيا لعاودت نفس سيرتك فهذه

حقيقتك وهذا شرك •

فصرخ الدجال :

— وما ذنبي أنا اذا كان الله خلق لى سرى هكذا •

فعاد مالك يشرح له :

— حانرجع تانى للكلام الفارغ •• لقد قلت لك يارجل

ان الله لم يخلق لك شرك ولم يخلق لأحد سره وانما خلق

لك الله اليد والقدم والقلب والعقل لتعبر عن خيرك وشرك

وتكشف مكنونك وسرك الذى تخفيه •

— وما هو سرى الذى أخفيه ؟

— ذلك هو شرك الخاص بك لم يخلقه فيك أحد ولم  
يقهرك عليه أحد وانما هو طويتك ومكنونك وحقيقتك  
منذ الأزل وقبل أن تولد فأنت من سكان هذا المكان منذ  
الأزل •• حينما كان هذا المكان عدما وكنت عدما ••  
ولكن فى باطن العدم لا تخفى على الله الخفايا ولا تستتر  
عنه النوايا •

— اختصار القول انه لا فائدة ولا مهرب ولا مفر •

— اذا كان لك مهرب من نفسك فان لك مهربا من هنا •

— حسنا •• سلمت •• واستسلمت •

— ذلك عين الصواب •

— ولكن لا بأس فى البلوى من سلوى •

— ماذا تعنى ؟

— أقول ما رأيك أن نبحث عن شلة الحرافيش لابد

أنهم شركاء فى هذه المصيبة التى نحن فيها •

— من هم شلة الحرافيش •• تقصد شلة نجيب

محفوظ •

— هو بعينه ما قصدت غيره •



– لقد ظلمت الرجل يا شيخ .. ولا أظن أنه سيكون  
من جيرانك .. فهو رجل طيب وإن كانت مأخذنا عليه  
كثيرة ..

– وما هي تلك المآخذ؟

– والله يا أخى صاحبكم عجيب الأحوال تراه فى حياته  
يصلى ويصوم ويلتزم بالآداب والوصايا ثم تقرأ كتبه فلا  
تجد أثرا لوجود الله وإنما تطالع عالما ماديا يأكل بعضه  
بعضا .. وتغرق فى ظلمة من الشرور والمظالم .. ليس  
فيها بصيص نور .. فى روايته الطريق ترى الله عبارة عن  
أب وهمى لا وجود له وفى روايته أولاد حارتنا يموت الله  
فى آخر الرواية ويجلس العلم والعقل فى مكانه وفى قصة  
الغرزة يكشف الحشاشون فى الصباح أن الشبح الذى  
تصوروا أنه كان يتربص بهم على الباب كان عباءة معلقة  
أو جوال قطن لست أدري ثم هو يأخذ القارىء الى دوامة  
من الانفعال الراض بدرجة تدفع به الى الغضب المبهم  
والى الرغبة فى تهديم كل شىء .. ثم هو لا يفصح عن  
موقفه ولا يقترح حلا ولا يعلن أيولوجية معينة وإنما  
هو يبدو دائما غاضبا على كل شىء وأصدق قصصه فى  
التعبير عنه هى قصة ذلك الرجل الذى يصعد على أعلى

نقطة فى برج القاهرة ثم يطلق الرصاص على الناس من  
مدفعه الرشاش بطريقة عنفوية موجها الموت الى الكل ..  
وجه العجب فى صاحبكم وما يدعونى دائما الى التساؤل  
كلما قرأته .. انه اذا كان يصلى ويصوم واذا كان اقتنع  
بالدين منهجا وحلا فلماذا لا يبدو هذا الحل فى رواياته ..  
ولماذا يبدو الدروايش فى رواياته هلافت .. وتبدو  
المومسات بطلات واللصوص ضحايا ..

هذا رجل عجيب صاحبكم نجيب محفوظ هذا ..

– وماذا تظن آخرته؟

– العبرة بالخواتيم .. ولا ندرى بماذا ختم له ..  
ولعله تاب وأتاب وأقلع عن هذه السكة البطالة التى كان  
يسير فيها ..

– يبقى شىء عجيب ..

– ما عجيب الا الشيطان ..

وسكت الدجال فترة وغرق فى التفكير ثم أشار الى  
ابليس من طرف خفى ..

ومال الاثنان على بعضهما يتهاوسان ..

قال الدجال :

— اسمع يا أخى يا ابليس الظاهر ان الحكاية جد وان  
مفيش فايذة .. واننا ضعنا ..

— ضعنا الضيعة التى لا بعدها ولا قبلها •

— اسمعنى لم يبق الا حل واحد •

— ما هو ؟

قال الدجال فى صوت خافت مبجوح : الثورة •

عسس ابليس فى دهشة وقد ففر فاه — أى ثورة •

فقال الدجال فى صوت جاف أجش — ثورة اشتراكية •

وهنا انفجر ابليس ضاحكا .. ثم تكور وانتفخ من كثرة  
الضحك حتى تحول الى باللونة هائلة ثم راح ينفجر  
ويقرقع بالضحك حتى سمعت ضحكاته الشيطانية فى  
السموات السبع والأرضين السبع والكون السفلى والعلوى  
•• وما بقى مكان فى الفلك الا وسمعت فيه ضحكته  
الشيطانية •

قال الدجال مذهولا : وما الذى يضحكك الى هذه  
الدرجة يا ابليس ؟

قال ابليس وهو ما زال يحاول أن يكتفم ضحكته : ثورة  
اش •• اش •• اش •• اش •• اشتراكية الله يضحكك يا شيخ ••  
ماذا تقول فيها •• نريد الخبز •• نريد الحور العين ••

قال الدجال : بل تقول تسقط الطبقة والاستغلال •

قال ابليس — استغلال من •• ان أهل الجنة  
لا يستغلونك وأنت لا تعمل عملا لتدعى انهم يأكلون  
أجرك ثم يبنون قصورهم من فائض القيمة استغلال من  
•• أنا لا أفهم •

فقال الدجال غاضبا : ان الله قد أخذ أرضى أخذ ألف  
فدان من أجود الأرض فى الفيوم •

فقال ابليس وهو يضحك : أرضك •• ألك أرض ••  
انها كلها أرضه •• السماوات والأرضين ملكه •• والبحار  
والأنهار والأشجار والرياض والجبال والوديان ملكه  
والشمس ملكه والقمر ملكه والمخلوقات كلها ملكه •

قال الدجال — وهدم لى عمارة من عشرين دورا فى باب  
اللوقة كانت تدر على دخل عشرين ألف جنيه فى الشهر  
•• هدمها بزلزال •

قال ابليس — انه حر فى ملكه يهدم فيه ويبنى ويزلزل

ويبيت ويحبي كما يشاء... أله شريك في ملكه يقيم عليه  
دعوى اتلاف .

قال الدجال - أنا عندي حجة مسجلة في الشهر العقارى  
بالأرض والعمارة .

وهنا انفجر ابليس في ضحكة شيطانية أكثر جلجلة من  
الأولى وراح يتشقلب مثل البهلوان .

ولم يتمالك كبير ملائكة جهنم « مالك » خازن النار  
نفسه فضرب الدجال ضربة على بوزه أطاحت بجميع  
أسنانه دفعة واحدة .

وانكش الدجال من الألم حتى أصبح أصغر من  
الجرذ .

ثم عادت أسنانه فنبتت كلها من جديد .

وقال ابليس - ان حكاية الثورة الاشتراكية سوف  
تكلفك كثيرا . فان جهاز المخابرات هنا دقيق ولا يسكنك  
أن تتهامس بسؤامرة أو تهرب منشورا أو تضحك على  
الناس بأضاليل كالتى كنا نضحك بها عليكم في الدنيا .  
فان الجدران تسمع والشجر يتكلم ويدك تعترف عليك  
وقدمك تعترف عليك وقلبك يعترف عليك . ان الشيوعية

كانت لعبة الأبالسة في الدنيا كلما أرادوا أن يؤلبوا الناس  
بعضهم على بعض وكلما أرادوا أن يشعلوا الأحقاد  
ويشتتوا الشمل . . كانت الاشتراكية هي الكلبة التى  
ظاهاها الرحمة وباطنها العذاب . . ظاهاها العسار وحقيقتها  
الخراب . . وكانت هي العالم الملتوى من الكلمات الذى  
يضل فيه الحكيم ويتوه فيه اللبيب . . وذلك كان بعض  
مكر ذلك الماكر الكبير كارل ماركس الذى أوقع العالم  
كله في خيوطه العنكبوتية .

قال الدجال - وهل وقع العالم كله في الشيوعية ؟

قال مالك - نعم في ختام الزمان عاد العالم كافرا كما  
بدأ كافرا . . واكتسحت الشيوعية العالم ووقف المؤذن  
ليقول على المئذنة . . لا اله . . ثم يسكت . . ولا رسول  
ثم يسكت . . ورفع الله الرحمة من الصدور ورفع القرآن  
من القلوب . . وازدهر العلم . . وخيل للانسان أنه قد  
سيطر على كل شيء وبلغت الأرض غاية زخرفها وذن أهلها  
أنهم قادرون عليها وراح الانسان يستمتع في حرية وبلا  
وأزع من حرام ويستحل كل شيء . . حينذاك أتى أمر الله  
بغثة فجعلها حصيدا كأن لم تغن بالأمس . . الأرض تخسف  
والجبال تنسف والبحار تتفجر . . والقبور تبعر . .

ويسجد الناس ويكون ويدعون بلا جدوى .. وتقتل الشعوب زعماءها الذين أضلواها .. ثم يقتلون بعضهم بعضا ويحرقون جثمان لينين المحنط في الكرملين .. ويلعن الواحد منهم نفسه .. وكنت ترى الناس سكارى وما هم بسكارى حينذاك أتت نفخة الصور .. فصعق من في السماوات والأرض الا من شاء الله من أحبائه المقربين .  
قال الدجال وهو يرتجف : ومتى كان ذلك .

قال مالك - تلك كانت الساعة .

- معنى ذلك أن الشيوعية كان لها ختام الكلمة .

- نعم لأنها هي التي تكفلت بالافساد الشامل .

- اذن هناك أمل ..

قال ابليس : في ماذا ؟

فغمغم الدجال هامسا : في الثورة الاشتراكية هنا في الآخرة .

فقال ابليس في استغراب : تانى .. وهل في الآخرة غير الله رب العالمين أيها المعتوه .. وهل في يومنا هذا حكم لأحد غير حكمه .. يا راجل افهم .

قال مالك ساخرا : على العموم ما دامت قد اختمرت في رأسك الفكرة .. فهذا أنسب وقت لتلتقى فيه مع الرفيق باناماريوف وتتفقا معا على الخطة .

قال الدجال متوسلا : لا أرجوك .. كله الا باناماريوف .. أرجوك أقبل يديك وقدميك .. أقبل رأسك .. وأتوب .. وأرجع في كلامي .. لا اشتراكية .. ولا شيوعية ..

ولكن مالك كان قد بدأ يجره من رأسه ويكبه على وجهه في جهنم ساحبا اياه كالداابة الى زنزاتته .

وكان الدجال .. يصرخ :

- الرحمة .. الرحمة .. ارحموني .. تبت ملعون أبو الشيوعية .. طبقية طبقية .. زى ما أنتم عاوزين .. بس سيبونى .. يا مغيث .. يا لطيف ..

زهرة الرند

وألقى مالك بالدجال على وجهه في الزلزلة •

وسمع الدجال من يقول له :

— أهلا بعميل الامبريالية الأمريكية •• أهلا بالرجس

المأفون ••

فعلم الدجال أنه وصل الى باناماريوف •

وتحامل على نفسه وقام واقفا •

وكانت الزلزلة شيئاً رهيباً •• فسقف الزلزلة هو

أسفل عرش ابليس حيث تتدلى قدماه وهو جالس •• قدم

منهما على رأس الدجال والآخر على رأس باناماريوف •

وما تلبث الرأس التي يستقر عليها هذا القدم الجهنمي

أن تغلى وتفور فقدم ابليس مثل كل جسمه بضعة من نار •

ولهذا ما لبثت رأس الدجال أن بدأت تغلى ثم بدأ دمه

يغلى ثم بدأ يصاب بالجنون •

ولم يتوقف باناماريوف عن الكلام لحظة وكأنه ماكينة

مركب عليها أسطوانة قديمة لا تكف عن الدوران •• وظل

يدمد بصوته الخشبي :

– ان الجماهير الكادحة وبنقطة الشغالة التي تعيش ضحية الاحتكارات وتراكم رأس المال وتدفع حياتها لتعطي الرأسمالي فائض القيمة الذي يصنع به مزيدا من الاحتكارات .. ان هذه التناقضات الديناميكية تؤدي الى انهيار البناء الفوقى للتركيب التحتى للمجتمع البورجوازي .. ان الفهم اللينينى للخلفية الجدلية يكشف هذا الاستغلاق الاستبطنى للاستشكال الوضعى للشرعية البروليتارية للمنظور الديماجوجى \*

– ايه يا بنى الكلام اللي بتقوله ده ..

– هذا هو الفصل الرابع من كتاب التوعية الشيوعية فى العالم الثالث لبولجاكوف \*

– توعية ايه وهباب ايه .. انك تقضى على الشيوعية قضاء مبرما بهذا الهراء .. الشيوعية لم تنتشر فى بلادنا بهذه المنشورات وانما انتشرت كوعد كاذب للمحروم- بأنه سيملك ويحكم غدا وانتشرت لأنها صادفت هوى الشاب الذى يريد أن يستريح من تكاليف الدين ومن عبء الجلال والحرام .. كما انتشرت بين الشباب المثالى الروماتيكى لأنها قدمت له الحلم الذى يحلم به بالموت فى السجون فى سبيل الشعب فدفع حياته فى سبيل هذا الوهم الكاذب ..

ان قصة الشيوعية فى العالم الثالث هى قصة تحريض الجياع على الشبعانيين .. وهو أمر سهل ويمكن أن تجسج به أمة وتقود مظهرة وتسقط نظاما .. بدون هذا الهراء .. اسمعنى واترك هذا الكلام الفارغ .. وتعال معى وسنخطط معا انقلابا شيوعيا يغير حكاية الآخرة كما غير حكاية الدنيا ..

ولكن باناماريوف ظل فى واديه الآخر يردد بصوته الخشبى :

– ان التراكم الديناميكي للتناقضات الجدلية لأمر التشغيل فى الوضع المتدهور للمجتمعات البورجوازية الحالية يؤذن باستفحال المضاعفات المركبة للبنية الفوقية للعلاقات المتداخلة للهيكلم المتخارج للتكوين الاستسولوجى للشرعيات المقننة للترابطات الفوق تحتية \*

– يا نهار أسود وأنا حاعيش طول حياتى فى الوش ده ..

– وكما يقول لينين فى نهاية الامبريالية أن الهلامية الميتافيزيقية والتصورات الخاوية للعقلية المنغلقة الانفرادية الذاتية والشيزوفرينية الاتكاسية للخيلات الطوباوية ..

يا نهار أسود .. أنا حاعيش حياة أبدية تحت  
كابوس من الهراء .. مستحيل .

وكان ضغط دمه قد أخذ يرتفع ثم يقفز متلاحق في  
الارتفاع وراح نافوخه يغلى ثم يفور .. وباناماريوف  
ما زال يدق على رأسه بهذه النبرات الخشبية حتى خيل  
إليه أن ذلك الصوت الخشبي يتخلل كل خلية وينخس فيها  
ثم ينخس في عظامه .. وأخيرا انفجر في صرخة هائلة مدوية :  
يا هوه .. يا شياطين .. يا زبانية .. الرحمة ..  
الرحمة .. الرحمة .

ورفع ابليس إحدى قدميه .. تلك القدم الجهنمية التي  
كانت مستقرة على رأسه .. فخف الغليان قليلا .. والتقط  
الذجال أنفاسه ..

وجاء مالك وزبانيته يحملون مائدة طعام وشراب .  
قال مالك مبتسما :

يا ماذا دهاك .. عطشان ؟ .. جوعان ؟ .. خذ اشرب  
عندنا زفت مغلى .

يا هات متشكر .. أحسن ألف مرة من هذا السرطان  
الذي كان ينخس في نافوخي ..

يا تاكل ؟!! .. عندنا شوك .. وحنظل .. وعلقم ..  
وزقوم .

يا هات بارك الله فيك .. هل عندك سم من الذي  
قتلتكم به عبد الحكيم عامر ؟

يا عندنا جميع السموم التي تخطر على بالك .. ولكنك  
سوف تاكل منها عدة أطنان ولا تموت وانما تتعذب  
فقط ..

يا أعوذ بالله .. أليس عندكم مخدرات ؟

يا هذا عالم تذكر وليس عالم نسيان كلما امتدت بك  
الحياة ازددت صحوا .

يا حفيظ .. اذن كيف يغيب الانسان عن وعيه ؟  
يا لا سبيل الى ذلك أبدا .

يا ولكن يمكنني أن أقطع رأسي بهذه السكين .

يا واختطف السكين من مائدة الطعام وأخذ يجز رقبتة ..  
فقال مالك مبتسما :



– لا تتعب نفسك • سوف تنمو رأسك ثانية كما كان يحدث عندكم في أفلام ميكي ماوس •• ولن تزداد إلا عذابا •

وصرخ الدجال :

– اذن كيف الهرب من ذلك الـ باناماريوف ؟

وكانت بطنه قد بدأت تنتفخ من كثرة ما أكل من زقوم وبدأ يتلوى من الألم وهو يصرخ •

– أليس حراما أن آكل أنا هذا الزيت بينما خادمي الزنجي الذي كنت أضربه بالحذاء يتنعم عندكم في الجنة مع الحور العين ويأكل الفاكهة ألوانا •• أنا •• النجم الذي ملأ الدنيا ضجيجا وغطت صورته أغلفة المجلات والجرائد وملأت أعاجيبه وسيرته قنوات التلفزيون •

قال مالك :

– نجوم الدنيا ليسوا نجوم الآخرة •• وكم من نجم في الدنيا مشى خلف جنازته خمسة ملايين وبكاه الباكون وانتحروا على نعشه ثم هو الآن نكرة لا ذكر له ولا اسم في أسفل سافلين •• وكم من ناس عاشوا لا يدري بهم أحد

وماتوا لم يمش خلفهم ثلاثة وهم الآن في الجنة لهم معراج وشفاعة •

– ترى من هو نجم نجوم الجنة وشمس شمسها ؟

– هو محمد عليه الصلاة والسلام العارف الكامل والعبد الكامل الذي كان كلما ازداد معرفة ازداد عبودية •• ذلك هو شمس شمس الجنة وله جنة خاصة به وحده هي جنة الوسيلة وله الشفاعة العظمى •

– ألا يمكن أن يتشفع لى فأخرج من هذا البلاء ؟

– انما يتشفع للمؤمنين وأهل التوحيد الذين مشوا على قدمه ثم زلت بهم طبيعتهم وغلبتهم بشريتهم فعصوا مرة أو مرات •• أما أمثالك فسن هؤلاء الذين قال له الله فيهم « استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله » •• والشفاعة لا تجوز الا باذن الله ومشيبته ولا شفاعة ضد المشيئة •• انما الشفاعة هي عين المشيئة •

– ولكن الله رحمن رحيم ولا قانون يحد رحمته وقد يرأف بحالى •• وهو يفعل ما يشاء ولا يسأل عما يفعل وليس من حقه أن تحد من رحمته ••

— ليس من حقى ولا من حق أحد أن يحد من رحمة الله ولو أنك عرفته بهذه الصفات فى الدنيا ولو أنك عملت على مقتضى هذه المعرفة لكان بينك وبينه الآن عروة وثقى وحبل متين وعهد تتوسل به .. أما وقد أنكرته وجهلته وأعلنت ألوهيتك وقلت أنا الذى أحىي وأميت .. فقد قطعت حبل النجاة بينك وبينه وأصبحت واقفا وحدك .. فحسبك ونفسك .. انقذ نفسك .. هذا يوم يجمع الله حوله أهله الذين عرفوه واتبعوه ويجمع الشيطان حزبه الذين عرفوه واتبعوه .. أليس هذا هو العدل .

— أنا لا أسأل العدل بل أسأل الرحمة .

— لقد قال الله أنه لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء .

— وهل أشركت ؟

— وأكثر .. لقد أقمت نفسك الها تحطم الشرائع الالهية وتنسخها بكلماتك .

— هيه .. يا مالك .. كنت أمزح .. كان هذا مزاحا سخيفا .

— ونحن أيضا سزح معك مزاحا سخيفا .. ألك فى طلب آخر ؟

— لا .. أرجوك .. لا تذهب وتتركنى لهذا الحيوان .. اعطنى بعض الزفت أشربه .. وبعض القطران أيضا .. وبعض البول ودعنى آكل من هذا الشوك حتى يصعد الى أذنى فيسدهما .. ألا تلاحظ أن هذا الحيوان باناماريوف لا يأكل ولا يشرب وانما يتكلم كلاما متواصلا .. ولا يتوقف لحظة عن الكلام .. ما حكايته خبرنى بالله .. وما سره .. هذا شىء خرافى .

فقال مالك وهو يتسم :

— لقد جعله الله اله من آلات تعذيبه فى الدنيا والآخرة .. وهو أشد آلات التعذيب تنكيلا .

— نعم ان كلماته لا تتوقف وهى تنخس فى النافوخ حتى ينفجر .

— ذلك هو السخف المطلق وهو كالشر المطلق والكفر المطلق أسفل درجات جهنم .

— ولماذا جسد لنا الله هذا السخف المطلق ؟

– لندرك جمال العقل ولطف الاحساس ونور الحكمة  
•• فنحن مخلوقون بطريقة لا نعرف بها النور الا  
بالظلمة •

– لقد عرفت والله العظيم عرفت وتبت واستغفرت •  
– لا أظن أنك تبت تماما •• فقد كنت منذ لحظات  
تخطط لثورة اشتراكية في الآخرة •

– كنت أمزح والله العظيم •• وكان مزاحا سخيفا ••  
وأنا عيبي انى لا أستطيع أن أكف عن المزاح السخيف •

– بالضبط وهذا ما جمعكما في زنازة واحدة •• ذلك  
الشيء المشترك •• السخف •• لقد اعترفت الآن على  
نفسك •

– نعم •• لقد حلت على اللعنة بالفعل •

– والآن وداعا يا عزيزى الدجال •

ولكن الدجال عاد يمسك بتلابيبه ويكسى ويسترحم  
ويقبل الأقدام •

– دقيقة واحدة •• لا تتركنى بحق الله •• لا تدعنى  
بحق محمد •

– استحلقتنى بالعظيم والأعظم ولك هذه الدقيقة  
فأوجز ولا تطل •

– سؤال واحد •• ألا يمكن أن تأتيني بزوجتى أم  
العيال؟

– أى زوجة فيهم لقد تزوجت ثمانين زوجة واستحللت  
فروج خمسة آلاف امرأة دون زواج •• وقد أنجبت من  
الكل عيالا بلا عدد •

– زوجتى « زهرة الرند » جميلة الجميلات وفتنة  
القاتنات ورفيق العمر الطاهرة الوفية التى لم تخنى ولم  
يخطر ببالها غيرى طوال ستين عاما •

فأجاب مالك فى صوت قاطع مقتضب :

– زوجناها لابليس •

فانتفض الدجال وكأنما طعن فى صدره طعنة نافذة •

– زوجتوها لابليس •• كيف •• أتزوجون الناس  
على كيفكم •

– هى التى راق لها ابليس وراقت له •

– كيف وهى أظهر من قطر اندى وأوفى من عذارى الأحلام •

فقال مالك وهو يتحسس الألفاظ :

– ليس بالضبط •• يبدو أن الأمر اختلط عليك •  
– ماذا تعنى ؟

– أعنى أنك أحسنت الظن بنفسك أكثر من اللازم •  
– بنفسى أو بها ؟•

– بالاثنين •

– ماذا تعنى أفصح ولا تعذبني •

– أعنى أن « زهرة الرندة » الوفية الطاهرة قد خاتتك مع طاهيك وبوابك وسائقك وخادمك وأصدقائك •• واستحل فرجها خمسة آلاف رجل هم عدد من زنت بهم

من نساء •• وكانت كلما رقدت فى حضن رجل واستبدت بها اللذة صرخت فى نشوة •• أين المخنث المأبون زوجى ليتعلم كيف يضاجع النساء •

فصرخ الدجال صرخة شقت دماغه نصفين وخرج لها قلبه من صدره •

وخرجت أحشاؤه من بطنه •• ثم عاد فصرخ :

– اللعنة على جميع النساء •• احرقونى بالنار •• احرقونى حتى أنسى •• احرقوا دماغى •• احرقوا عقلى •• احرقوا ذراعى •• احرقوا أناملى التى لمستها وتحسست خديها •• احرقوا شفتى التى قبلتها •• احرقوا لسانى الذى قال لها أحبك أعبدك •• احرقوا الكذاب الذى عاش عمره فى الكذب •• صدق رب العالمين •• أنا لا أصلح الا للعنة ولا تصلح اللعنة الا لى •• اذهبوا عنى •• لا أريد أن رأى أحدا •• أريد أن أبقى وحدى •• أن أموت خزيا وأهلك عارا •

وكانت دموعه تسيل نارا ذائبة ملتهبة •

وخرج مالك وزباينته •• وتركوه وحده مع باناماريوف •

وراح الدجال يأكل نفسه وكلما أكل عضوا عاد فنما من جديد أكل يديه وذراعيه وأكل قدميه وأكل ساقيه وأكل لسانه وابتلع شفثيه •• وكان احساسا بالخزى فى داخله يأكله كالنار ولكن لا فائدة فقد عادت هذه الأعضاء فنمت من جديد فى فورية عجيبة ثم أبلس من اليأس فكب

وأعقب الصرخة سبعين ألف سنة من الصمت المطبق  
قبل أن يجيب مالك باذن والهام من ربه •

— انكم ما كثون •

اخسأوا فيها ولا تكلمون •

يا أهل الجحيم عذاب ولا موت

ويا أهل الجنة نعيم ولا موت

جفت الأقلام ووطويت الصحف

وحقت كلمة ربك لا راد لحكمه ولا معقب لكلماته •  
وكان الدجال قد انسحق الى تراب كل ذرة فيه  
تتعذب •

وجهه في الأرض وتكوم وانكمش حتى أصبح مثل قنفذ  
أسود •

وعادت نبرات باناماريوف الخشبية تعلو وتتسلل الى  
خلاياه فتتخس فيها خلية خلية •

— ان التركيب الهلامي للبنية الفوقية كما يقول لينين  
هو صورة انعكاسية للعلاقات المادية التداخلية وعلاقات  
الاتاج الترابية والمعانة التحتية البروليتارية ولكن في  
تكوين هيولى لا يصمد لحركة الشغالين وتجمعات القاعدة  
الصلبة للتنظيم الهرمى الحزبى وأن الامبريالية التآمرية  
في صراعها مع التكوينات البيداجوجية والتجمعات  
التكنوقراطية في ظل الشيوقراطية والمنشافية هي جوهر  
الماركسولوجيا •

وكان الدجال يضع أصابعه في أذنيه ولكن الكلمات  
كانت تتخس في نخاعه وما لبث أن انفجر صارخا •• هذه  
المررة صرخة أعظم من الأولى سمعتها السماوات السبع  
والأرضين السبع •

— لا •• لا •• لم أعد أحتمل •• الرحمة ••

يا مالك •• فليقض علينا ربك •

حكايات الرجل الحكيم

## صيد الحقائق

قال الرجل العجوز ..

لا تنظر الى ما يرتسم على الوجوه ولا تستمع الى ما تقوله الألسن ولا تلتفت الى الدموع فكل هذا هو جلد الانسان والانسان يغير جلده كل يوم ولكن ابحت عما تحت الجلد .. لا ليس القلب ما أعنى فالقلب هو الآخر يتقلب ولهذا يسمونه قلبا .. ولا العقل فالعقل يغير وجهة نظره كلما غير الزاوية التي ينظر منها وقد يقبل اليوم ما أنكره بالأمس ألا يبدل العلماء حتى العلماء نظرياتهم .

لا يا ولدى .. اذا أردت أن تفهم انسانا فانظر فعله في لحظة اختيار حر وحينئذ سوف تفاجأ تماما فقد ترى القديس يزنى وقد ترى العاهرة تصلى وقد ترى الطبيب يشرب السم وقد تفاجأ بصديقك يطعنك وبعدوك ينقذك وقد ترى الخادم سيدا في أفعاله والسيد أحقر من أحقر خادم في أعماله وقد ترى ملوكا يرتشون وصعاليك يتصدقون

انظر الى الانسان حينما يرتفع عنه الخوف وينام الحذر

وتشبع الشهوة وتسقط الموانع فتراه على حقيقته يمشى  
على أربع كحيوان أو يطير بجناحين كملاك أو يزحف  
كثعبان أو يلدغ كعقرب أو يأكل الطين كدود الأرض •

اسمع قصتي يا ولدي واعتبر فقد بدأت الحياة  
تعلمني والحوادث تؤدبني منذ صباى منذ أن كنت في  
العشرين طالبا أسكن على السطح وتحتى فى العمارة  
تسكن جارة جميلة متزوجة من رجل كهل مريض بالقلب •

وكانت الجارة الجميلة تتردد على غرفتي وتساعدنى فى  
حياتى من باب العطف والخلق الكريم والجيرة الطيبة  
هكذا كان يبدو لى فى تغسل لى ثيابى وتدبر طعامى  
وتشتري لى من الكتب ما لا أستطيع شراءه ثم فى ساعات  
ترفع الكلفة وتمضى تشكو لى سوء حظها وتبكى •

وماذا تفعل مع انسان يبكى بحرارة سوى أن تضمه  
فى حنان وتربت عليه •

ثم كيف تسير الأمور بين رجل وامرأة متحاضنين •  
هذا أمر تتكفل به الطبيعة •

ثم يسوق اللسان ما شاء من أعذار عن الحب والهوى

والهيام •• وتصدق الدموع على المشهد المؤثر • وتكتمل  
اللوحة باتيان ذلك الفعل القديم قدم آدم وحواء •

ثم تصبح الحكاية عادة •

وتتشابك الأيدي فى عهود ومواثيق وإيمان مغلفة  
بالزواج والوفاء حتى الموت متى سمح الظرف •

ثم يسمح الظرف فجأة فيموت الزوج بالسكته القلبية  
ويخلو الجو وتسقط الموانع وتتبخر العقبات •• فماذا  
يحدث ؟

تنشغل الجميلة وتتشاغل وتعلق بابها وتنكر نفسها  
وتمرض وتتمارض •

ثم أسمع أنها تتردد على ضييب عند رأس الشارع •

ولم تكن بها علة والطبيب ولا شك أدرك أنه ليس بها  
مرض ولكنه مع ذلك ظل يتابع كتابة الروشتات والفحص  
ثم اعادة الفحص ثم التصوير بأشعة اكس والعلاج بالأشعة  
تحت الحمراء ثم طلب رسم قلب وطلب رسم مخ وطلب  
تحليل دم ثم جلسات كهربا ثم انتهت القصة المشوقة بجلسة  
عائلية سعيدة وكتب كتاب •



لا شك أن المرأة عندها مواصفات مختلفة حينما تفكر  
في الزواج غير المواصفات التي تطلبها حينما تحب •  
وهل كان من الممكن أن تتزوج طالب حقوق فاشل  
وهي التي أصبحت صاحبة العمارة والوارثة الوحيدة لربع  
مليون جنيه •

وللسويدات الحسنات منافع أخرى •  
فهى يمكن أن تعمل رئيسة لحكيمات المستشفى والمديرة  
بالنيابة أثناء غياب الطبيب •

لم يكن صاحبنا الطبيب يضيع وقته •  
وهذه فائدة الدراسة في كليات عملية •

وأمام انفجار الزوجة الأولى وشجارها لم يجد  
الزوج المسكين بدا من طلاقها •  
اسمع يا ولدى بقية القصة •

ولندر عجلة الزمن بسرعة لنختصر الكثير من التفاصيل  
التي لا جدوى منها •• ولندع العجلة تجرى بنا عشرين  
سنة •• ثم لتوقف أمام هذه اللقطة المثيرة •

هذا أنا وقد أصبحت محاميا ناجحا يشار إليه بالبنان  
تصدر أخباره أعمدة الصحف ويكسب لعملائه أصعب  
القضايا وهذه هي مرة أخرى أمامى على كرسى المكتب  
الوثير حبيبة الصبا أيام ليالى السطوح •

ولكن ما حدث منذ عشرين سنة لا يمكن يا ولدى أن  
يتكرر •

اسمع يا ولدى بقية القصة •

الحق أنها كان عندها نظر حينما اختارت الطبيب ولكن  
الطبيب أيضا كان عنده نظر حينما اختارها • كان لكل  
منهما غرض من الزواج •

وكان غرض الطبيب أبعد فما لبث أن انتقل بعيادته الى  
شارع قصر النيل وما كاد يمر العام الثانى حتى كان قد  
أنشأ مستشفى خاصا وزوده بأحدث المعدات •

وفي العام الثالث كان يسافر الى أوروبا ليستكمل  
تجهيزات المستشفى هكذا قال لها ولكن حينما عاد كان  
قد استكمل شيئا آخر فعلى ذراعه كانت هناك حسناء  
سويدية مثل شعاع الشمس •

لقد استكمل نصف دينه الباقي •

ولهذا كان لا بد لي أن أوقفها من وقت لآخر قائلاً ••  
يا أمي خلينا في القضية •

وكالعادة كانت دائما تتعلل بقضية •

• كم تغيرت الملامح •

• وكم ترهل الجسد •

أهذا هو الصدر الذي كنت أتسرغ عليه وأنا صغير  
وأبكي؟

أهذا الفم الذابل المغضن هو الذي كنت أجن بتقبيله؟

• كم أقسم لي هذا الفم بالحب والوفاء وكم أغلظ لي  
الايمان والمواثيق بالارتباط حتى الموت •

• هيه يا ولدي •

• كم تتغير المواقف بمرضى الزمن فيخرج مساجين الأمس  
ليكونوا حكام اليوم •• ويتدلى من أعواد المشائق من  
كانوا بالأمس ملوكا •• وتذلل رؤوس وترتفع هامات ••  
ويمضي مشاهير كانوا عناوين في الصفحات الأولى ليصبحوا  
نكرات في صفحات الوفيات لا يعلم عنها أحد وتتبخر قصص  
حب دفعت بأصحابها الى الجريمة ولو قدر للعشاق الذين

هاموا وسهروا وبكوا وانتحروا حبا أن يبعثوا من جديد  
من قبورهم ليروا ماذا كان من أمر الذين انتحروا من  
أجلهم لربما ضحكوا ملء أشداقهم عجباً كيف حدث أنهم  
أحبوهم ذات يوم وكيف تاهوا وذابوا في تلك الملامح  
والعيون التي شاخت وأصبحت محاجر يسكنها المكر واللؤم •

• أين كان يختبئ ذلك المكر في تلك اللحظات الملائكية  
الرفافة الشفافة حينما كانت العيون تلمع مثل سماوات  
صافية مرقشة بالنجوم تحف بها القبلات •

• يا الهى ما أحكمك حينما نهيتنا عن الهوى والغواية •

• هذه أمور يا ولدي تزينها الشياطين للناس وتزفها لهم  
في ثياب باهرة من الزخرف تذهب بالعقل فلا يعود الانسان  
يرى في أى حفرة سوف يضع قدميه •

• لا تكن يا ولدي من عشاق الوجوه بل كن من عشاق  
الحقائق ••

• ابحث عن حقيقة الانسان تحت جلده ودعنى أكمل لك  
القصة •

• ان السويدية الجميلة مثل شعاع الشمس لم تستطع أن  
تأقلم على تقاليدنا الشرقية فهربت مع سائح فرنسى والطبيب

## البنك المركزي

قال لي صاحبي المعرم بالحواديت :

– مجانين هؤلاء الذين يتخذون من المال هدفا  
لحياتهم فليس للانسان الا بطن واحدة يملؤها وهو لن  
يستطيع أن يلبس الا بدلة واحدة كل مرة ولا أن يسكن  
الا بيتا واحدا في وقت واحد فاذا زادت ثروته على حاجاته  
فلن تكون هذه الزيادة في خدمته بل سيكون هو الذي  
يعمل في خدمتها •

وهل نفعت شاه ايران ملايينه •

انه يملك سبعة آلاف مليون جنيه ويعيش مع حاشية  
من الحراس في عدة قصور وراء أسوار عالية في جزر  
الباهاما والذين يعيشون مع الرجل المسكين يقولون انه  
يأكل ولا يهضم ويضطجع ولا ينام •• ويعيش في الخوف  
والرعب والقلق ويده على زناد مسدسه فاذا ثقلت أجفانه  
من التعب هاجمته الكوايس •• وقد نقص وزنه أكثر من  
خمسة عشر كيلوجراما وأصبح لحما على عظم وغدا شبعا  
يتحرك وظلا مرتجفا يكلم نفسه •

وماذا فعل أوناسيس بملايينه ••

أصبح مريضا يرقد في غرفة الانعاش بشلل نصفي وأنا  
فقدت أسناني ووضعت أموالى تحت الحراسة ولم أعد  
أملك الا هذا العكاز أتوكأ عليه •

لقد أفلسنا جميعا •• كل الأطراف •• ولم تبق منا الا  
أوهام تصورهاها في زمانها انها حقائق فاستعبدتنا وأضلتنا  
وهي قبض الريح •

أتظن يا ولدى أن أحدنا قد أحب حقا أم أنها كانت  
الأنانية مطلقة السراح •• والمصالح تلبس ثياب العواطف ••  
والشهوات ترتدى أزياء النبلاء •• والأطماع تدعى  
البراءة •

لهذا يا ولدى قلت لك •• لا تنظر الى ما يرتسم على  
الوجوه ولا تصنع الى ما تقوله الألسن ولا تلتفت الى  
الدموع فكل هذا هو جلد الانسان والانسان يغير جلده  
كل يوم •• ولكن أبحث عن ما تحت جلده •• ليس قلبه  
ولا عقله •• فتلك أيضا أمور تتغير •• ولكن انظر الى  
فعله في لحظة اختيار حر تعرف حقيقته •

تعلم كيف تكون صيادا للحقائق متسللا الى ما تحت  
الجلد مسترقا الى النخاع حتى لا تضيع حياتك في الأوهام  
كما ضاعت حياتنا •

لقد أحب أرملة الرئيس الأمريكي وتزوجها ..

وهل أحبها حقا ..؟؟

بل المال هو الذى أحب المال .. والطمع هو الذى أحب الطمع والغرور هو الذى أحب الغرور والشهرة هى التى أحببت الشهرة .

ولم تستطع السعادة المفتعلة المصطنعة أن تصمد أمام حادث وفاة ابنه الوحيد بحادث طائرة فانهار الرجل كما ينهار جوال فارغ وتهاوى كبالون أصابه خرق وانهارت أسطورة الحب الخرافى .. ورأينا الأرملة الحزينة تظهر فى ثياب الحداد على ذراع أمير ثم على ذراع ملاكم ثم رأيناها تراقص ممثلا ثم تغازل صاحب مصانع صلب ثم فى ناد ليلى مع مليونير .

وعاد الغرور يبحث عن غرور آخر .. والمال يبحث عن مال يرافقه والطمع يبحث عن طمع يؤنسه وحب الشهرة يبحث له عن مادة وإشاعات وصفحات . وباللونة تحاول أن تنفخ نفسها عبثا وقريبا يصيبها الدبوس فتفجر كالفقاعة ولا تترك أثرا .

مجانين يا عزيزى هؤلاء الناس الذين يتخذون المال هدفا والشهرة غاية والطمع خلقا والغرور مركبا .

انهم يعبثون الهواء فى حقائب ويمسكون بالظل وينقشون أسماءهم على الماء .

انها مسألة لا تقدم ولا تؤخر اذا اشتهرت بالطيبة وأنت فى حقيقتك شرير .. فحقيقتك هى التى تلازمك . أما كلام الصحف فمصيره مثل مصير ورق التواليت والناس يغيرون وجوههم كل يوم فلا تبحث عن قيمتك فى وجوه الناس .

اسمع .. ان أفقر الفقراء اليوم يستطيع أن يركب عربة ويستقل قطارا سريعا الى بلده وكان أغنى أغنياء زمان لا يجد الا حصانا يحمله ويلقى به منهكا مجهدا بعد سفر الأيام والليالى .

وأغنى أغنياء زمان كان يتباهى بأنه يستطيع أن يجلب فرقة راقصة مغنية تسليه هو وضيوفه .. وأفقر فقراء اليوم يستطيع بضغطة على زر أن يستعرض بضع فرق راقصة مغنية فى بضع محطات تلهو وترقص أمامه بالألوان فى تليفزيون أو راديو بينما هو يرخى أهدابه لينام فى راحة صدقنى أن الانسان لا يشكو لحاجة مادية فهو اليوم أغنى

وأكثر ترفا من قارون الأمس • ولكنه يشكو لأنه ينظر  
الى ما فى أيدي الآخرين •• من يركب عربة بالأجرة ينظر  
الى من يركب عربة « ملاكى » • ومن عنده العربة الملاكى  
ينظر الى من عنده العربتان • ومن عنده العربتان ينظر الى  
من عنده يخت • ومن عنده يخت ينظر الى من عنده  
طائرة • وصاحب الزوجة الجميلة لا ينظر الى زوجته بل  
ينظر الى زوجة جاره •

ان كل ما نملكه يفقد قيمته والأنظار فى تحول دائم الى  
ما يمتلكه الآخرون ••

ان حقيقة الأمر هو الحسد والعدوان والحقد وليس  
الفقر ولا الافتقار •• وسوف تزداد الشكوى كلما ازداد  
الناس غنى •• ويزداد الناس احساسا بالفقر كلما ازداد  
ما يمتلكون ، لأن الغنى الفعلى هو حقيقة نفس وليس  
حقيقة رصيد •

ولأى شىء يشهد الشحاذ اذا كان يضع كل الفكة ألوفا  
مؤلفة من الجنيهات فى جوالات ولا ينفق منها شيئا •

ولماذا جمع ما جمع ••

ولمن كان يجمع ••

لا شىء سوى لذة السلب والعدوان والاحساس بأنه  
أذكى ممن أعطاه ، وأنه ضحك عليه •

وما ضحك فى الواقع الا على نفسه •

ليتنا نتوقف عن الجرى واللهاث باحثين عن لحظة صدق  
لا نضحك فيها على أنفسنا •• لحظة صدق واحدة يا صاحبي  
أثمن من جميع اللآلىء •• لحظة صدق واحدة هى الحياة •

هل صدعت رأسك ؟

دعنى أحك لك قصة ••

دعنى أرجع بك خمسين سنة الى الوراء الى نفس هذا  
الشارع الذى نسير فيه وكان اسمه شارع عماد الدين ••  
وعلى جانبيه كانت تتراص الحانات والبارات والمقاهى  
والمسارح وبعضها ما زال قائما الى الآن •• كان دائما  
شارع الحظ والفن والطرب •• وكان ملتقى المتسكعين  
من كل الأصناف •• وهنا فى نفس هذا المكان وكأنى أراه  
أمامى الآن •• كان يقف شاب •• ودعنا من الأسماء فهى  
مجرد بطاقات لا تعنى شيئا •• هو شاب ابن عيلة متخرج  
جديدا من الحقوق فى يده ليسانس • والليسانس فى تلك

الأيام كان لا يعنى أكثر من اثني عشر جنيتها شهريا هذا  
إذا كنت محظوظا ووجدت الوظيفة ••

ولكن الشاب الطموح كانت تعيش في رأسه أحلام أكبر  
من هذا بكثير وكان متعجلا يريد الشراء في أقصر وقت وبأى  
سبيل •

وكان له عم يحدثه عن باريس وعن السوربون ويكلمه  
عن السفر والدكتوراه •• ويقول له سوف أنفق عليك  
وأتكفل بك ••

وسافر الشاب الى باريس •

ولكنه كما قلت كان متعجلا ومشوار السوربون  
والدكتوراه كان أطول بكثير من خطوته •• وكان شارع  
البيجال أكثر جاذبية وأقل مشقة •

وبدأ صاحبنا دراسته من شارع البيجال من عند فتاة  
بار ألمانية شقراء •

وظافت به مارجريت على علب الليل ونزلت به الى عالم  
البدروم والستريتينز والمخدرات •

ثم أخذته الى ألمانيا وعرفته على شقيقها تاجر المخدرات  
في ميونخ •

وأنفق عليه الهر شلاير في بذخ خرافي وفتح أمامه أقصر  
الطرق الى خزائن الأحلام •

وهكذا غدا صاحبنا عضوا عاملا في أكبر عصابة تهريب  
تعمل بين تركيا ولبنان واسرائيل وأوروبا والشمال الأفريقي  
وأصبح مليونيرا في شهر ثم قاتلا قبل أن يمر عام واحد  
ثم مسجوناً في مدريد ينام على الأسفلت ويتبول في برمبل ثم  
هاربا تطارده المدافع الرشاشة والكلاب البوليسية ثم  
مسجوناً من جديد في سجن برلين وراء عيون الكترونية  
وقضبان غليظة وأسوار مكهربة •

تجرى هذه الأحداث بسرعة وتجرى أحداث الحرب  
العالمية الثانية في موازاتها بسرعة هي الأخرى •

والسنوات تمر حبلى بالكوارث •

وصاحبنا مسجون •

والقنابل تتساقط على برلين •

والحلفاء يدخلون برلين من ثلاثة مواضع •

وكل شيء ينفجر من حوله ومن فوق رأسه ومن تحت  
رجليه •

وينفجر السجن ويجد نفسه في العراء شبعا يجرى في  
الدخان والبارود •

أن يعثر على خزينة محطمة في تلك الأنقاض وأن يسأل  
حقيته بملايين الماركات ويحل كل مشاكله في لحظة. والى  
الأبد •

ان الكل ينهب والكل يسرق والكل يقتل •  
والجريمة هي القاعدة والجنون هو الدستور •  
هل تصدق يا صاحبي ••

لقد عثر الرجل بالفعل على ضالته وملاً حقيته بملايين  
الماركات وعاد كالمجنون ليقرأ في الصباح مائشتات عريضة  
في جميع الصحف بافلاس العملة والغاء المارك الألماني •

وهكذا تحولت الملايين في يده الى صفر هكذا فجأة وفي  
غمضة عين وفقد الرجل عقله •

البنك الذي كان يضمن العالم أصبح غير مضمون •  
لا حول ولا قوة الا بالله •

هذه جنازة تخرج من الشارع يا صاحبي •

تري جنازة من ؟

من قال أن أحدا يستطيع أن يضمن أحدا •

هيكل عظمي لرجل متسول •

ويشاهد أمامه ألمانيا أخرى غير التي عرفها •

أنقاض وخراب وأشلاء وجوع •

ونساء تبيع الواحدة نفسها برغيف وسيجارة •

والكل ينهب ويسرق ويقتل •

وبنك الرايخ الألماني على الأرض •• البنك المركزي  
الألماني الذي كان يضمن كل مؤسسات وشركات ألمانيا  
ويقرض الدول والجماعات أصبح أعمدة من الخرسانة  
وحفرا وفجوات وأكواما من التراب •

ولعل كثيرين قد فكروا مثله •

ولعل بعضهم سبقه •

انها خبطة العمر •

٩٠

ومشكلة كارل ماركس أنه حاول أن يختصر التاريخ  
ويحقق الجنة على الأرض فكانت نظريته هي الأخرى  
جريمة •

ولم يتحقق له الا القتل •

هل تعرف لماذا لا نصبر •

لأننا نقول دائما لأنفسنا •• ومن يضمن لنا المستقبل اذا  
ضحينا بالحاضر •

ولا أحد يفكر بأن الله هو الضامن وأنه هو الحقيقة  
الوحيدة المؤكدة وأنه خالق الوجود وضامنه •

ان بنك الرايخ الألماني الذي كان يضمن العالم لم  
يستطع أن يضمن نفسه •

ولو امتلأت النفوس بهذا الايمان لانحلت العقدة ••  
ولكن لا ايمان اليوم رغم كثرة المآذن •

انها مجرد مصاحف مدلاة على الصدور •

لكن الصدور نفسها ليس فيها شيء سوى رغبة محرقة  
في اغتنام لذة أو انتهاز مصلحة •

هيه يا صاحبي •• ترى هل اعتبرت ••

الضامن هو الله •• تعال معي نشيع الرجل ••  
ان معدتك لن تضمن لك بأنك سوف تهضم فقد تضرب  
معدتك عن الهضم وأمعائك عن الامتصاص فتشرب ولا  
ترتوي وتآكل ولا تشبع وتموت من الجوع والعطش  
وبطنك مملئ بالماء والطعام ••

البنك الذي كان يضمن العالم لم يستطع أن يضمن  
نفسه يا صاحبي الضامن هو الله •

من يضمن لك أنك سوف تعبر الشارع بسلام •  
وهل تصور المرحوم الذي نشيعه الآن انه سوف يعبر  
الشارع محمولا على الأكتاف •

لو أن الشاب بطل قصتنا لم يتعجل ولم يطلب الثراء بأي  
ثمن لكان له شأن آخر •

ولو أنه سار معنا وراء هذه الجنازة لرأى المقابر تملأ  
بألوف الموتى ممن كانوا متعجلين مثله ولم يصلوا الى شيء  
•• ولربما تغير تفكيره •• ولربما اعتبر •

ان مشكلة الانسان أنه قليل الصبر وأنه يحاول أن  
يحصل على كل شيء في التو واللحظة ولا سبيل الى ذلك  
الا بالجريمة •



## تبسيط المسائل

قال العجوز الحكيم :

— أخطر شيء يا صاحبي هو تبسيط المسائل وتلخيص الحياة في نقطة والسعادة في مطلب •

يقول الواحد منا لنفسه •• لو انى كسبت هذه الورقة اليانصيب لانتتهت جميع المشاكل •

لو أنى تزوجت هذه المرأة لأصبحت أسعد انسان •  
لو انى هاجرت الى أمريكا لحققت كل أحلامى •• لو انى تخلصت من هذا المرض المزمن الذى ينغص على حياتى لصنعت من نفسى رجلا عظيما •• لو •• لو •• لو ••

ودائما تبسط المسألة في نقطة واحدة وقديما تصور فرويد تبسيطا شديدا للنفس الانسانية فقام بتفسير جميع حوافزها وعقدتها وانحرافاتنا بالحافز الجنسى •

وأخطأ فرويد •

وكان سبب الخطأ أن الحياة لا تقبل التبسيط وانها نسيج معقد متداخل من عدة عوامل •

واذا حاولت أن تبسطها فانك تمزقها في نفس الوقت •

• أم أنك في حاجة الى قصة أخرى •

•• هل تعرف من هم المؤمنون؟

انهم الذين لا يحتاجون لأى شيء ولا يتعجلون أى

شيء ••

ولاشك أن كل الكائنات الحية هي في النهاية وتبسيط شديد « ماء وتراب » •

ولكن هل هي كذلك •• أبدا •

ان التبسيط قتل الحقيقة •• وهذا ما يقع فيه كل انسان منا حينما يتصور أن كل حياته تبدأ وتنتهي عند الحصول على هذه المرأة اذا فقدتها ضاعت حياته واذا فاز بها فاز بنعيم الدنيا والآخرة •

وتتيجة هذه الرؤية التوحيدية المركزة تتوتر أعصابه فلا يعرف طعاما لأكل أو نوم أو راحة ويسقط عيلا مثل مجنون ليلي •• وقد يتلع أنبوبة أسبرين ليتخلص من عذابه •

ولو أن مجنون ليلي حصل على محبوبته ليلي وتزوجها وتحقق له ما كان يحلم به لأفاق من جنونه تماما ولعاد له عقله من أول لكمة في الفراش من ليلاه العزيزة وهي تقول له •• ابنك عنده اسهال •• وبنتك تقيء طول الليل •• وأنا طهقت •• روح شوف أمك تشيل عنى العلل دى •• أنا قرفت منك ومن ولادك •

قطعا كانت جميع الرؤى الشعرية والأطياف الملائكية

ستتبخر من دماغه ويلعن اليوم الذي نظم فيه قصيدة أو كتب موالا •• ولربما قام وهو يبرطم ويسب وجلس على باب الخيمة وأنشد قصيدة يلعن فيها القمر والشجر وحياة مثل حياة البقر •

ولكن الله لم يبلغه مراده لأنه أراد أن يكون للوهم ملوك يفتنون الناس كما أراد أن يكون للحقيقة ملوك يوقظون الناس •• ليجرى امتحان النفوس في عدالة بين شد وجذب الفريقين •

آسف لهذه المقدمة الطويلة التي صدعت بها رأسك •• ولكنى أردت أن أثير فكريك قبل أن أقص عليك هذه القصة العجيبة •

وبطل قصتنا طبيب جراح له أنامل موسيقية وروح موسيقية وهو يعيش بوجودان شاعر مرهف الاحساس ذواقا للجمال •

ويمكن أن تتصور حياة رجل مثل بطلنا يعيش مع زوجة مثل كرة من اللحم والشحم ثرثارة بليدة الحس غليظة الطبع خاملة المشاعر •• حياة كان يقول عنها أنها أشبه بمصارعة الثيران •

ولعلك تسأل الآن .. وأين المفاجأة؟

المفاجأة يا عزيزي كانت نقطة تافهة أهملها البطل ونسى  
أن يدرجها في الحساب .. هي جنون السرعة .

كانت البطلة مغرمة بجنون السرعة .

وكانت في لحظات النشوة والسعادة تطلق لسيارتها  
العنان فيقفز مؤشر السرعة الى ١٨٠ كيلومتر .

وهكذا قفزت السيارة ذات مساء وذات نوهة بريئة في  
ضوء القمر عدة أمتار في الهواء ثم انقلبت لتدور حول نفسها  
عدة دورات .

وخرج الطبيب من الأتقاص ليعيش بساقين خشبيتين  
وذراع صناعية .

وهو الآن يتساءل على الدوام وهو يدفع بكرسيه ذى  
العجلات .. ألم تكن حياته مع كرة اللحم والشحم الثرثرة  
الخاملة المشاعر الغليظة الطبع التي وصفها بأنها كانت حياة  
كمصارعة الثيران أفضل بكثير مما كان ينتظره مع الفراشة  
الملاك المانكان الموسيقية النبرات .

ألا يخطيء الانسان أحيانا حينما يبسط المسائل ويتصور

ثم يسكنك أن تتخيل ما يحدث حينما يقابل المرأة  
الأخرى . . الفراشة في رهاقتها المانكان في خطوتها  
الموسيقية في نبرتها الملائكية في روحها النورانية في طباعها  
.. تلك التي كان يصفها بأنها قطرة ندى أو شعاع فجر .

ويمكنك أن تتصور جنون كل منهما بالآخر .

ثم دموع الاثنين وعذاب الاثنين فكل منهما متزوج .  
وهي لا تستطيع الفكك دون دم وجراح وقطع أرحام .  
وهو لا يريد أن تعبر اليه على أشلاء أحد فلم يبق  
لهما الا الصبر والصلاة وانتظار معجزة .

واعجب معي يا صاحبي فقد حدثت المعجزة وتدخلت  
السماء ومات الزوج وطارت الحمامة رفاقة الجناحين الى  
ذراعى حبيها .

لعلك توقعت مفاجأة مثل مفاجأة زواج قيس وليلي .  
لا يا صاحبي اطمئن .

ان الطبيب العاشق يقول بنص كلماته .. لقد وجدتها  
مثل ما تصورت وأجمل .. وجدتها نورا مذابا وشفافية  
حلوة وخلقا متكاملا وظلا ظليلا وواحة حب وجنة مصفرة  
على الأرض .

## الفيستان

كان الرجل ينادى على المزاد بصوت جهورى والعيون  
من حوله تحملق فى المعروضات •

فستان الأميرة جلبهار مطرز بالماس والياقوت والفيروز  
كرسى فوتيل موديل لويس الرابع عشر •• سرير بظهر  
منجد كابتونيه بلوحات من الحرير الملون •• فازه سيراميك  
بلجيكى عليها صورة الامبراطورة كاترينا •• تحف قصر  
صاحبة الفيخامة الأميرة جلفدان هانم •

وجلجل بالجرس •

نبدأ المزاد على الفيستان •• السعر الأولى ألف جنيه ••  
ألف جنيه •• مين يزود •• ألف جنيه فستان الأميرة ••  
ألا أونا ألا دويا •• ألا تريا ••

وتقدم خبير فى المجوهرات وبدأ يفحص الفصوص على  
صدر الفيستان وأكامه ويحملق فيها بعدسة مكبرة ويهز  
رأسه ويمصص شففيه •

وتصاعدت الأرقام الى ألف وخمسمائة •• ألفين ثلاثة  
آلاف ، ثلاثة آلاف وخمسمائة ، أربعة آلاف ، أربعة  
آلاف وخمسمائة ، خمسة آلاف وخمسمائة •

أن حياته مع تلك المرأة ستكون جنة فلا يطلب من الدنيا  
غيرها ولا يرى فى الوجود مثلها ولا يتخيل كمالاتها •  
وهل يصح التبسيط فى مسائل معقدة ملغزة بطبيعتها  
مثل القدر والانسان •

ألا تبدو المسائل أعقد بكثير مما تتصور فيأتينا الخير  
أحيانا مما نكره ويأتينا الشر مما نحب •

وظل السمسار يقرع الجرس وينادى •

خمسة آلاف وخمسمائة - خمسة آلاف وخمسمائة •  
وقام رجل من الحضور •• عجوز عجوز مقوس الظهر  
مثل جميزة عتيقة يتوكأ على عكازين ويسعل ويبصق  
ويمسح على نظارة سميكة مثل المونوكل •• وتقدم من  
المنصة وكتب شيكا بستة آلاف جنيه وأخذ الفستان وحمله  
في احترام وتقديس كأنه يحمل مصحفا وتابعته أنظار  
الموجودين وهم يتوقعون أن يكون صاحب الرولزرويس  
الخضراء التي يقف على بابها سائق في زى رسمى أو أن  
يكون صاحب العربة الليموزين السوداء المكتوب عليها  
سلك ديبلوماسى •• ولكنه فاجأ العيون بدخوله في تاكسى  
قديم متهالك ينتظره أمام الباب •

وسار التاكسى يكركر وينفث الدخان الأسود ويتوقف  
مثل دابة نفقت على الطريق الزراعى ثم يعود فينطلق بعد  
حشجة •

ودخل التاكسى في شارع كبير واسع ثم في شوارع  
أضيق ثم في حارة ثم في زقاق مسدود •

وخرج العجوز يترنح بعكازيه ومن خلفه السائق يحمل  
له الفستان •

واختفى الاثنان في بيت قديم •

وفي غرفة صغيرة على السطح كان العجوز ينقد السائق  
أجره ثم يعلق الباب ويحمل الفستان في احترام وتقديس  
ويمدده على الفراش وينحنى عليه يقبله في كل شبر ويكى  
ويتهدج كطفل ويشم أعطاف الفستان ويهمس :

— حتى رائحة الروز •• ما زالت في فستانك يا جولى ••  
يا أحب من أحببت في دنياى •

وكان ينقل البصر بين الفستان وبين صورة كبيرة على  
الحائط للأميرة جلبهار أو جولى كما كان يدعوها وكان  
يكلم الفستان وكأنه يكلمها •

— ما أسعدنى وأنا أشتري لك الفستان للمرة الثانية  
وأقدمه لك للمرة الثانية يا جولى •

ان رائحة عرقك ما زالت تفوح كعطر شرقى قديم من  
ثنايا الحرير وأكاد أتحنس صدرك من وراء الداتيل وأكاد  
أهم بتقبيله ويكاد يهم هو أيضا بتقبيلي كما كان يحلو لك  
أن تصورى الأمر يا حبيبتى فتهمسين فى حمى اللقاء ••  
ان بين صدرى وبينك حوارا يا حبيبي أكاد أسمع ••  
يا الهى •• ما أعجب ما كان يفعل بنا الضعف •• فتتحول  
الى أطفال نأثم فى براءة •

ولكنك اشتعلت نارا وظننت الماضى حيا وباقيها  
وأقسمت أن تتزوجى الرجل الآخر لتعاقبيني .. وقد  
عاقبت نفسك معى وقتلت نفسك معى ..

وبدأ الليل الطويل الذى استمر ثمانين عاما يخيم على  
حياتنا وفي أثناء هذه الأعوام الثمانين قامت ثورات وحروب  
وانقلابات وانطلقت مدافع وهتافات ورشاشات وتشرد  
ملوك وسجن أمراء وطرده أصحاب قصور الى العراء وتدلى  
من أعواد المشاقق أناس كانوا بالأمس فى عزة السلطان .  
فهل تصدقيني يا جولى انى لم أكن أسع من ضوضاء  
التاريخ التى كانت تقصف فى الخارج الا حفيف ثوبك .  
حفيف ثوبك فى ذلك المساء وأنت تختلسين الى الخفى  
وأنتهار الدموع تغطى خديك وأنت تهسين بصوتك المتهدج  
فى تلك الدقيقة الخاطفة التى التقينا فيها وكأننا قطاران  
يصفر كل منهما ليمضى فى طريق مضاد ..

وأذكر كل كلمة وما زلت أسمعها تأتى الى أذنى مبلة  
بالدمع .

لقد أخطأت يا مراد وقتلت نفسى .

أحبك ولا أمل .

أراك دائما فى كل شىء حتى فى عيون أولادى حتى فى  
فراش زوجى .

كان ذلك منذ ثمانين عاما .. وكنا حينذاك سادة الدنيا  
وأهل الوقت .

أتذكرين المرة الأولى التى قدمت لك فيها هذا الفستان  
هدية .. كان ذلك فى عيد ميلادك العشرين .. وفى باريس  
.. وكنا نرتب للزواج .. وكان كل شىء جميلا ورائعا  
وكنت من فرط نشوتى بك لا أدري فى أى مكان أنا ولا فى  
أى زمان ولا فى أى عصر .. كان المكان والزمان هما  
أنت - كانت باريس هى أنت والوقت هو حضورك ..  
كان المكان يختفى والزمان يتوقف حينما تنصرفين .

يا الهى ما أعجب ما أودعت فى الحب من أسرار .

أتصدقين يا جولى لو قلت لك انى كنت أشعر انى أعيش  
فى الغيب لا أحضر فى الدنيا حتى تنادينى عينك فأحيا  
وأتنفس وآكل وأشرب وأحب وأرغب وأشعر بنفسى عارمة  
بين جنبى حتى تفارقينى فتفارقنى الروح وأعود عدما غائبا  
مغيبا كما كنت .

آه .. كم أحبيتك لدرجة المرض والأزمة .

وكم قتلنى هؤلاء الذين دخلوا بيننا ووضعوا بين يديك  
هذه الخطابات عن العلاقة القديمة التى كانت فى حياتى ..  
ولم تكن شيئا يذكر .. بل كانت أمرا تافها وماضيا  
لا وزن له .

لم أستطع الثورة على حقيقتي فغلبت الحقيقة على كل  
شئ ولونت كل شئ •

وداعا ولا وداع فأنا أحملك معي حيثما ذهبت تحت  
جلدى وفي دمي •

وصفر القطاران ومضت كل حياة في اتجاه •

وشعرت كأنما أنسلخ من نفسي وأمضى في اتجاهين في  
وقت واحد •

وامتدت هذه اللحظة الحافلة بالمشاعر وشخصت فأصبحت  
كل حياتي وغزقت كل حوادث التاريخ وضوضاء الانقلابات  
والثورات وبهتت وارتدت الى الخلفية البعيدة فأصبحت  
ستارا شبحيا خافتا يرسم عليه صورتان كبيرتان أنا وأنت  
ولم أهتز كثيرا حينما صودرت أملاكى ولم أمت حينما  
وضعت أموالى تحت الحراسة فقد سلخت جلدى فماذا  
يهم أن أخذ أحدهم ثوبى والآخر حافظتى • وماذا بعد  
سلب الروح والأحشاء • ماذا يهم الرداء •

ولهذا فحينما فكت الحراسات وعادت الى بعض أموالى  
وجدت نفسى أسعى الى فستانك لأشتره مرة ثانية وأهديه  
اليك مرة ثانية وأمرغ أنفى فى أعطافه وأشتم فيه عمرى •  
وماذا تهتم النقود لرجل فى سنى فقد أسنانه وسمعته  
وبصره وساقيه • ماذا تساوى •

وهل أنا الا حبك •

صدقينى يا حبيبتى ان عند الله لحظة يؤيدها فى كتابه  
ويهتز لها عرشه • • هى لحظة فراق حبيبين •

انها لحظة كانشطار الذرة أحيانا يحجب صوتها ضوضاء  
التاريخ كله وتتسوه بسببها الأجنة فى الأرحام ويتلوث  
الماء والهواء والبحر والطعام والحياة •

وذلك يحدث عند أهل القلوب •

وأهل القلوب ليس لهم طبقة •

انما صادف ان كنت حفيدا لاقطاعى •

وذلك أمر لم يتجاوز اسما فى بطاقة •

ولكن حقيقتى التى لم يعرفها أحد • • انى رجل أحب • •  
وان ثروتى الوحيدة التى حرصت عليها كانت حبك • • فلما  
ضاعت لم أشعر بأى شئ ضاع بعد ذلك •

جولى • • يا ابنتى • • يا أمى • • يا وطنى • • يا غرفتى  
الخاصة • • يا وسادتى • • يا سرى الحميم • • خذى  
فستانك من اليد التى أحبتها هدية للمرة الثانية • • والى  
أن نلتقى لك الروح والفؤاد •

## البحث عن زوجة

يا سادة يا كرام ..

أعلى شيء في الدنيا هو العلم ..

والانسان لا يتعلم مجاناً ..

وانما يستخلص المعرفة بالألم والمعاناة ..

من مكتبة الحياة نأخذ علمنا الحقيقي وليس من الكتب

والأسفار .

وأقدم لكم نفسى أولاً .

دكتور توفيق زكى دكتوراه في الذرة والعلوم النووية من

أمريكا أب لولدين وزوج للمرة الثانية .

وحكاية المرة الثانية هي الموضوع .

وكالعادة كانت هناك مرة ثانية لأن الزواج الأول فشل

بجدارة .

وكانت فكرتى في الزواج الأول هي البحث عن ست

بيت وأم وامرأة تقدر الحياة الأسرية لا يهم الثقافة ولا

التعليم ولا الشهادات واخترتها ساقطة ابتدائي تكاد تفك

الخط لكن طبخة ممتازة وأستاذة في تسيك الصواني

والطواجن وتنفيذ السجاجيد وارضاع الأطفال .

١٠٨

لكن كالمعتاد وبعد الشهور الأولى وبعد أن شبعت  
المعدة وامتلات الأمعاء وأصبحت المسألة الطريفة حكاية  
مكررة كل ليلة بدأ النكد يدخل الى البيت السعيد وبدأت  
أشعر بالفجوة الهائلة بينى وبينها وبدأنا نختلف كل يوم

في كل شيء .. وأصبح الشارع يسمع صراخنا كل ليلة .  
ورغم نومنا متعانقين في فراش واحد كنت أشعر أن بيننا  
قارات وان كل واحد فينا يسبح في محيط .

لم يكن هناك أى شيء مشترك يجعلنا سوى طاجن  
البطاطس بالفرن وصواني المحشى وأطباق الكوسة  
بالبشاميل فاذا غسلت يدي بعد الغذاء عدت الى الوحدة  
والغربة وكأني مجرد نزيل في فندق أجنبي .

عجزت تماما عن أن أشدها الى أى اهتمام مشترك حتى  
ولو الى الصحيفة اليومية وأعمدة الأخبار وحوادث  
الأسبوع .

كانت انसानه عقلمها مغلق على ثلاث غرف وصالة  
لا يهملها ما يجرى فى فيتنام وكبوديا ونيكاراجوا ولا يعنيهها  
ما يجرى فى جارة عربية قريبة مثل فلسطين .

ويستوى عندها أن تحترق لبنان أو تسدك بغداد أو

١٠٩



تنفجر دمشق أو يخرج الشاه من إيران ويحكمها خوميني  
أو خلقلي أو بازرجان ما دامت قد وجدت البصل في الجمعية  
التعاونية والأرز عند البقال والجرجير عند الخضري •  
فاذا حاولت أن أفتح معها هذه الموضوعات اسكتتى  
بغلظة فاذا حاولت أن أتلفظ ناولتتى لكمة وهي تقول ••  
نام بلا وجع دماغ أنا ما صدقت نيمت الواد •

وتصوروا ما يحدث لى يا سادة في هذه الوحدة والغربة  
والخواء حينما أتعرف بالأخرى • ده شهيرة سرور الأستاذة  
في الكونسرفتوار وعازفة البيانو والحائزة على ماجستير  
ودكتوراه في التوزيع الكورالى وفي الهارموني من باريس •

السيدة الناعمة الحريرية التي تكاد تذوب في الفم من  
فرط نعومتها والمتحدثة الرقيقة الودودة والفضانة الأثني  
والنجمة التي لا ينظفء اها تألق •

ويمكن لكم أن تتصورا كيف أصبحت مكالماتنا في  
التليفون تمتد الى خمس وست ساعات ولا نشبع فنلتقى  
على النيل ثم تأخذنى الى بيتها لتسمعى معزوفة رقيقة على  
البيانو ثم تحكى لى تاريخ هذه المعزوفة وكيف ومتى كتبها  
بيتهوفن •

نسيت أن أقول لكم انها طلقت بعد زواج فاشل •

وهذا طبعى •• فمن يستطيع أن يفهم ويقدر هذه  
التحفة الجمالية النادرة •• ومن يستطيع أن يعاشر هذا  
الفن الرفيع الا انسان ذواقه •  
ولقد كنت أنا ذلك الذواقه •

ولقد جنت بها حبا •• وامتلكتى حتى ملأت على  
أقطار حياتى وأصبحت لا أرى سواها ولا آكل سواها  
ولا أشرب سواها ولا أتفلسف سواها •

وكان طبيعيا أن يرتضى كل منا في حضم الآخر كأنه يتيم  
وجد أمه وأن نغرق في حمى من الانصهار العذب الذى  
لا تجدونه الا فى الكتب والأشعار والسيمفونيات •

وكان طبيعيا جدا أن أطلق زوجتى وأتزوجها وأنا أحلم  
بأقصى الراحة وبأنى قد وجدت أخيرا شقة خالية فى صدر  
امرأة •

ولكن القدر خلاف الظنون والدنيا التي أرادها الله تعبنا  
للكل ما لبثت أن قدمت صورة أخرى من زواج طريف  
غاية الطرافة •

ونظوف حول مقابر الأسرة السادسة ونحن نستمع الى  
معزوفة القمر لشوبان ونسرح في التاريخ والجغرافيا  
والحكيم أمحتوب •

وتكلمنى طويلا عن الحكيم أمحتوب •

وأقطع حديثها محاولا أن أكون رقيقا غاية الرقة •

– ولكن أظن أن أمحتوب يا حبيبتى كان يأكل ••  
وكانت زوجته الحبيبة تصنع له أشهى الأطعمة •

– لا أظن •• أنت تخلط يا حبيبتى بين أمحتوب وبين  
أبو شقرا • عيبك انك لا تقرأ كفاية في التاريخ •

– لقد قرأت وقرأت حتى جعت من كثرة القراءة ••  
ونشترى كنتكى في الطريق •  
ونعود الى البيت •

وتتمدد على الفراش وتسرح •

ثم تبتلع حبة فاليوم ثم حبة ليبريوم وأحاول أن أقرب  
منها فتقول في فتور :

– سيبنى شوية •

واسمعوا معى نموذجاً من هذا الحوار الذى يجرى  
بيننا •

الوقت صباحا وأنا أميل عليها وأمسح على شعرها في  
حنان وأهمس في أذنها :

– ايه رأيك يا حبيبتى •• نأكل ايه النهارده ••

– زى امبارح يا حبيبتى •

– احنا ماكلناش امبارح يا حبيبتى •

– لحدت تنسى سندويتشات الأمريكانا اللى جبتالك  
معايا •

– نفسى تعملى لى الملوخية بتاعتك •• ده اتنى ملوخيتك  
تجنن •• أنا قربت أنساها بقى لك شهر ماطبختليش حاجة •

– مش حاسة انى عاوزه أقف فى المطبخ •

– آمال حاسه بايه ؟

– حاسه بانى عاوزه أدور حوالين الهرم وأسمع كاسيت  
لشوبان •

وآخذها معى الى الهرم •

— مالك •

— جوايا تعبان •• حاسة جوايا بكآبة وضلمة وعتمة  
وليل •• الدنيا جوايا ضلمة أوى •

— أنا يا حبيبتى أنورها لك •

فتنظر الى نظرة فارغة كأنها لا تعرفنى اطلاقا وكأنى رجل  
لقيط التقت به صدفة وأخذته الى بيتها وقدمت اليه طعاما  
على سبيل الاحسان •• وان عليه الآن أن يرحل وأن يعود  
الى حال سبيله دون كلمة •

واقترب أكثر وأهمس فى حنان •

— حبيتى •• أنا جنبك •

— أنا عندى صداع يا توفيق •• أنا مش شايفاك ولا  
شايفة حد •

وأهتف فى أعماقى : يا نهار أسود عليك يا توفيق وعلى  
بختك •• ثم أعود فأحاول أن أتودد اليها •

— أجيب لك كولونيا تنعشك •

— سيبنى لوحدى •• نفسى أقعد سنين لوحدى ••

سنين •• سنين •• نفسى أحط الحمل اللى على كتفى  
وأنام •

— حطيه على كتفى أنا •

— جوايا كلام كثير مش عاوز يطلع •• كيانى مسروق  
منى •• بدور على عنوان نفسى مش لاقياه •• متهيا لى  
ان مشيت فى الشارع الغلط •

— أنا مش فاهمك •

— أنا اخترتك من أربعين مليون انسان علشان تصورت  
انك حاتفهنى وانك حاتجس بى •

— حا أحس بايه يا حبيبتى ده انتى معيشانى فى الغاز ••  
دنا بنام مع أينشتين •• أنا الدكتور فى الذرة والعلوم  
النووية واللى مسكت الالكترون •• مش قادر أمسك  
أفكارك •

— نفسى نبعد عن بعض شوية يا توفيق •

— نعم ••؟

— يعنى كده تسافر لك كام يوم اسكندرية تغير جو  
عشان توحشنى شوية •

– كمان .. أكثر من كدة .. د احنا بقى لنا شهرين  
ما قربناش لبعض •

– كمان شهر .. مايجراش حاجة •

– ده أنا بقالى خمسة أشهر بقولك اعملى لى كيكه  
تبصى لى كانى باتكلم مالطى أو هيروغليفى •

– ياه دنا نسيت خالص حكاية الكيكه دى .. عجيبه  
.. الله يضحكك يا شيخ •

– وكل ده واحنا فى شهور العسل أمال بعدين حانعمل  
ايه .. ده اتنى بتكلمى البيانو أكثر منى .. بتعرفى عن فطور  
شوبان ومزاجه الشخصى أكثر من اللى بتعرفيه عنى •

كل يوم يرجع تعبان بعد يوم مرهق من الشغل المتواصل  
فى العمل الايكى بتقوليلى عندى انغلاق ذاتى وتقلص  
نفسى وانكماش روحى .. أجبى المسك تقوليلى .. سيبنى  
شوية .. حاسة الشمس بتغرب جوايه .. عاوزه أموت ..  
أتلاشى .. ومرة تقولى لى حاسة ان سقف عقلى وقع وان  
جدران قلبى اتهدت .. وفيه حاجة بتسوينى بالأرض ..  
ومرة تقولى لى .. العصافير بتغنى فى صدرى .. عاوزة

كل الرجالة يبوسونى وأشد شعرى من الجنون فتقولين  
لى :

– ما هو كل الرجالة يعنى انت يا حيبى .. من امتى  
أنا حبيبك وانتى عايشة فى فلك وأنا فى فلك .. توصلنى  
منك كلمة بالتكس وتضيق ألف .. أنا وحيد ياشهيرة ..  
وحيد •

– وأنا وحيدة أكثر منك يا حيبى •

– أمال احنا فى حضن بعض ازاي •

– ساكنين بالصدفة سوا فى نفس الشقة فى الدور  
الثانى على النيل • ونبص احنا الاثنين للسقف •

– بالضبط وده هو الشئ الوحيد المشتركين فيه ..  
لدرجة دى ممكن يتغير الناس .. أمال فى الدموع  
والآهات .. فى أغانى الحب .. كانت معزوفة بيانو ..  
عمود شعر فى صحيفة يومية اتقطعت مع الأيام وبقت ورق  
تواليت .. ساعات بحس ان مش بس لازم نبعث كام يوم ..  
أبدا .. ده احنا لازم نتعرف على بعض من جديد .. لازم  
نقابل بعض صدفة فى الصالون الأخضر وأعزمك على شاي

في جروبي وأسألك على نمره تليفونك .. وأقول لك  
اسمك ايه يا مدام •

• صحيح فعلا •

• احنا مش متجوزين يا حبيبتى .. احنا متطلقين  
جدا •

• صحيح فعلا متطلقين •

وهكذا طلقت الثقافة الرفيعة والدكتوراه والماجستير  
في الكورال والهارموني والتحفة الجمالية .. ده شهيرة  
سرور .. لأننى لم أعرف ماذا تريد ولا ماذا تحب ولا ماذا  
يرضيها .. ظننت فى لحظة أن أقصى أملها أن تعيش معى  
.. فلما عاشت معى رأيتها تهرب منى وتعيش فى غيبوبة  
القاليوم .. وتنطوى على نفسها حتى تشبه قوقعة حزن •  
وشككت فى عقلى وتفكيرى وعدت أشد شعرى من  
الوحدة والبؤس •

يا سادة يا كرام ..

أنا أبحث الآن عن بائعة فجل أو بائعة جرجير .. مجرد

انسانة على الفطرة لأتزوجها وأعيش معها على الفطرة  
البيسطة التى خلقها الله •

امراة تنظر الى زوجها على أنه ربها وتغسل له رجليه  
وتطهو طعامه وتشاركه مشاركة التوأم فى كل ما يشركها فيه  
دون جدل •

امراة تنظر الى كل ما ينطق زوجها على أنه سماوى  
ومقدس وتحبه لأنها لا بد أن تحبه وليس لأن عندها انفتاحا  
ذاتيا وانغلاقا استبطانيا يا سادة يا كرام أنا أعلن على الملأ  
أنى رجل رجعى جدا وبدائى - وألعن عصر مسز تاتشر الذى  
ولدت فيه .. وأرى للأسف الشديد أن عصر الرجل  
اتهى ..

يا سادة يا كرام ..

نحن المحتاجون الى قوانين أحوال شخصية تحمينا  
وتنقذنا من استبداد ده شهيرة سرور ماجستير فى الأصوات  
ودكتوراه فى الكورال من باريس •

يا سادة يا كرام •

نحن أصبحنا جوارى هذا العصر •

انتهينا ..

## توبة

وضع المقامر ألف جنيه على المائدة في تحد وهو  
ينظر في عين الرجل الذي يلاعبه وينفث خيطا حادا من  
الدخان •

— أتعرف لماذا يجد المحب لذة في عبوديته للمرأة  
التي يحبها •

أجاب الآخر وهو يدلق بقايا كأس في جوفه •

— لماذا؟

— لأنه لا يفطن انها عبودية بل يخيل اليه أنها حرية ••  
ألا يكسر القوانين ويحطم الشرائع ويياشر المنوعات ••

وأخرج خيطا آخر من الدخان •

— وكذلك نحن عبيد القمار لذتنا في تخيلنا بأننا  
تسلق على كتف القدر وبأننا نخالسه وتغير ونبدل في  
الأرزاق ونسرق من الغيب •

قال الآخر في ثقة مطلقة:

— نعم •• وهذه ألف جنيه مثلها وأتحدك انى سوف

أربح •• اكشف ورقك •• رأيت — كيف خالست القدر  
وأخذت هذه الألف الأخرى •

— انه احساس رائع •• أليس كذلك •

— نعم أشبه باحساس الدرويش الذى يخرق الحجب •

— احساس يصرع القلب فى المكسب •

وأردف الآخر فى برود •

— ويصرعه فى الخسارة •

ثم وضع يده فى جيبيه وأخرج شيكا بألف أخرى ألقاه  
فى بساطة على المائدة وهو يقول:

— كان المقامر فى الماضى بعد أن يخسر كل شىء  
يقامر على زوجته ثم يبيع أولاده •

وفى النهاية حينما لا يبقى الا جسمه يطلق عليه الرصاص  
ويدفع حياته ثمنا لآخر لعبة •

— وأى لعبة ••

— لعبة اختراق مائدة الدنيا كلها والذهاب الى الآخرة •

– لعبة ليس فيها مكسب أبدا بل خسارة كلية والى الأبد •

– ولكن من يلعبها يتصور دائما أشياء أخرى ••  
يتصور أنه استراح وخرج من عذابه وخرج من نفسه •

– وهل خرج أحد من نفسه وهل يستطيع •• تلك أكبر كذبة •

– ولكننا أمام هذه المائدة على الأقل نخرج من أنفسنا ونأخذ اجازة من عقولنا ولو على مدى ليلة •

– بل ما فعله هو عين أنفسنا وذات أنفسنا •• ذلك التدمير الذى نباشره هو أنفسنا وذلك التهور والسفه والحمق وتعجل المصير والقفز على كتف القدر وتسلق أسرار الغيب هو أنفسنا •• ومن يفعل كل هذا غيرنا •• وهل فعلنا ما فعلناه تمثيلا على أنفسنا •• أم أنها الحقيقة •

– بل الحقيقة وعين الحقيقة •

– وسر لذتنا أننا نعيش حقيقتنا •• هل تصدق أنى أحيانا أشعر برجفة لذة وأنا أقلب الورقة لأعرف الحقيقة •

– وهى لذة أقوى من كل لذة ولهذا نضيع فى سبيلها كل شىء •

وقد ظل الرجل أسيرا لهذه اللذة يياشرها فى ذهول مقيدا بقيود خفية الى كرسيه حتى طلع الفجر وحتى خسر كل ما يملك •

وحيثما قام فى النهاية كان رصيده الضخم فى البنوك قد أصبح صفرا •

وخرج ليمشى وحده على شاطئ النيل والفجر الرمادى يصفع وجهه بنسمات باردة فيفوق على شىء ثقيل كالجدار يمتد أمامه فى الجهات الأربع فيسد عليه المسالك فهو يمشى وكأنه لا يمشى ويتنفس وكأنه لا يتنفس •

وشعر أنه مات تماما ولم يبق الا اعلان خبر وفاته •  
وانهار على مقعد من المقاعد الحجرية المتناثرة على النيل •

هل يمكن أن يكون للانسان أكثر من نفس واحدة •  
انه يشعر الآن بنفس أخرى تتكلم فيه غير تلك التى كان يجلس بها على مائدة القمار •• نفس أخرى لوامة تلومه

وتعتب عليه وتحاول أن تهديه وتبصره وتفتح أمامه أبواب  
الأمل وترشده الى حياة أخرى شريفة منتجة نافعة غير تلك  
التي عاشها كابين وحيد وارث للملايين •

وهي تقول له ان كل ما حدث كان نعمة • • وانه لم  
يخسر الا قيوده والا تلك الأغلال التي كانت تجعل منه  
ذلك الرجل الكسول المتواكل الذي يعيش غالة على ثروة  
رجل ميت وانه من الآن سوف يعمل ويكافح ويرى الحياة  
في ضوء جديد • • من الآن سوف يوظف عقله في شيء  
آخر غير « البوكر والكنكان والبقاراه » وسوف يوظف  
قدميه ويديه في شيء آخر غير الذهاب والعودة من الكازينو  
كل ليلة •

انه سيكون ميلادا وبعثا لانسان جديد وموتا ونهاية  
لانسان قديم •

ولكن هل مات ذلك المقامر بالفعل أم أن امكانياته فقط  
هي التي ماتت • • !!؟

لكم تمنى في تلك اللحظة وهو يستعرض شريط حياته  
التافه الذي أنفقه على موائد القمار لو أن ذلك المقامر قد  
مات بالفعل وانتهى الى غير عودة •

لكم تمنى هذه الأمنية بحرقه وصدق واخلاص حتى لقد  
بدا له كل ما خسر وكل ما فقد وكل ما أنفق • • بدا له كل  
هذا ثمنا قليلا يدفعه عن طيب خاطر في سبيل موت هذه  
النفس التي ضيعته •

ولأنه كان صادقا فقد شكر الله على ما خسر بقدر ما كان  
يشكره على ما كان يكسب •

ولقد رأى الله صدقه فتاب عليه وكتب له أن يولد من  
جديد رجلا آخر •



## صاحب الجلالة الموت

مدير السجن الحربى الذى كان يعذب المسجونين وينزع أظافرهم ويعلقهم من أرجلهم ويطلق عليهم الكلاب الوحشية ويظفيء سجائره فى المواطن الحساسة من أجسامهم .. مات فى حادث سيارة على طريق مصر اسكندرية الزراعى اصطدم بعربة نقل تحمل أسياخا حديدية .. دخلت الأسياخ فى قلبه وخرجت من ظهره وانتقل الى الآخرة مرشوقا فى هذه الأسياخ ..

والرجل الذى كان يحمل نعش أبيه فى الطريق الى المدافن ويتشاجر على الميراث سقط فى الحفرة التى وضع فيها أبوه فاقد النطق ومات الى جواره بسكنة قلبية .. والمرأة التى اعتادت على تعاطى الحشيش لتطيل لذتها ماتت تحت رجل آخر غير زوجها .. طالت بها الغيبوبة وخرجت من الدنيا الى الله دون توبة ..

والذين قفزوا من السفينة الغارقة ماتوا وأكلتهم قروش البحر والعجوز ذو المائة سنة المريض بالسكر والضغط والذبحة الذى لم تسعفه قدماءه فى اللحاق بهم والقفز معهم بقى ملقى فى قاع السفينة حتى جاءه رجال النجدة وأنقذوه ..

وجراح السرطان الموهوب قتل ابنه خطأ فى عملية تافهة أتفه من فتح خراج ..

والاسكندر الأكبر قتلته بعوضة فى بابل ..

وفى سنة ١٩ قتل فيروس متناه فى الصغر لا يرى بالعين ولا بالمجهر .. عشرين مليوناً بالانفلونزا ..

انه صاحب الجلالة الموت ..

أقرب الى كل منا من ظله .. بل أقرب الى الواحد من نطقه .. وأقرب اليه من نفسه التى بين جنبيه ..

يجرى فى الدم واللغاب والنبض ويسكن النخاع .. كل منا يحمل نعشه على كتفيه ويسير كراقص على حبل لا يعلم متى يسقط ..

ولكنه لا بد أن يسقط .. لأن كل الذين سبقوه قد سقطوا ..

يا سادتى .. الأرض مغطاة برفات الموتى ..

وتحت القاهرة ثلاث مدن وثلاثة عصور نمشى ونرقص على رفاتنا وجماجمها ..

وغدا يمشى الأحفاد على ترابنا فى لا مبالاة تامة وكل منهم مشغول بحاله ملفوف فى همومه ..

نعم انها تلك اللامبالاة التامة يا سادتي هي التي تثير الدهشة •

تلك الحالة الذاتية التي تلف الواحد منا وتغلفه وتطمس على سمعه وبصره وبصيرته فلا يرى الموت تحت قدميه فهو يبكي من الحب أو يخطط لسرقة أو يتآمر على قتل في هدوء عجيب وثقة وكأنه يعيش وحده وكأن العالم غرفته الخاصة يتصرف فيها على هواه وكأنه خالد مخلد لا يموت بل انه يخطط لموت الآخرين ولا يخطر موته هو على باله لحظة واحدة •

نعم يا سادة تلك الغفلة واللامبالاة التامة هي موضوع حكايتنا الغريبة هذه الليلة •

وبطلنا أذكى رجل في العالم •

وحينما تعرفون كيف أصبح مليونيرا سوف توافقون معي على أنه أذكى رجل في العالم بالفعل •  
ولندعه يحكى بنفسه بداية القصة •

كان ذلك في صيف ١٩٥٠ حينما رست في ميناء الاسكندرية سفينة محملة بمخلفات الجيش •

وصعد السماسرة وتجار المخلفات على سطحها ليفاجأوا بأن كل حمولتها أحذية •• نصف مليون حذاء •• كلها

فردة يمين •• أى أنها لن تنفع بشيء ولن يشتريها أحد بسليم •

ورفض تاجر واحد أن يمد يده ليشتريها •

وابتدأ المزاد من الصفر وظل واقفا عند الصفر •

وحينئذ تقدمت أنا واشترت الحمولة كلها بجنيهاً قليلة وأنا أتصور أنى ألقى بهذه الجنيهاً في البحر •• وأقول لنفسي •• ربما تظهر لها منفعة في المستقبل •• وأضحك وأنا أتذكر مقالا قرأته بأن هناك نوعا من البيرة يصنع من منقوع الصرم القديمة •

وألقيت سـا في المخزن •

ومر أسبوعان بالضبط •

وفي يوم الثلاثاء كنت أقف على رصيف الميناء •• وكانت هناك سفينة مخلفات ترسو ••

وصعدنا على سطحها لنفاجأ بأن الحمولة كلها أحذية •• نصف مليون حذاء •• كلها فردة شمال •• الجزء المفقود من الصفقة الماضية ولم يتقدم أحد للشراء •• فمن يشتري نصف مليون حذاء كلها فردة واحدة •• ولم يعقد مزاد •

وكنت أنا الشارى الوحيد الذى رست عليه البيعة  
بجنيهات قليلة •

وهكذا أصبحت مليونيرا فى لحظة وبدون جهد ولا عمل  
وانما بخبطة حظ قلما وجود بشلها الزمان •  
وهكذا يا سادة بدأ أذكى رجل فى العالم حياته •

ولأن الثروة جاءتة بلا جهد وبلا عرق •• ولأنها جاءتة  
على شباب وصحة وفراغ •• فانه كان طبيعيا أن يلهو  
ويلعب ويرخى الجبل لهواه •  
وعرف النوعيات الهابطة من النساء •  
وعرف السهرات المبتذلة •

ولكنه كان دائما الرجل الذكى القوى الذى يعرف كيف  
ومتى ينفذ عن نفسه تلك النوعيات الطفيلية ومتى ينبذ  
اللهو ويفيق ليعاود العمل فى همة ونشاط •  
ولكن الأقوياء لا يظنون أقوياء دائما •  
وفى كل انسان ثغرة ••

حتى أذكى الأذكاء لا يسلم من ضعف يمكن أن  
يتسلل منه الاغراء وتدخل الفتنة •  
ودعوه يحكى بنفسه بقية القصة •

كنت أعيش فى خفة لا أحمل هما لغد ولا ألقى بالا  
لشئ •• كل ما أتمناه أجده •• وكل ما أحلم به أحققه  
بالحيلة أو بالذكاء أو بالمكر أو بالمال •

وكان كل شئ حولى قابلا للشراء وقابلا للساومة وكانت  
الدنيا كلها رخيصة فى متناول اليد •  
حتى التقيت بها فى حفل بالسفارة •

امراة دقيقة التكوين نحيلة كشبح ناعمة حريرية مشعة  
صوتها هامس يتسلل الى ما تحت الجلد ويسكن العظم •  
وعقلها حاد متألق •

وشخصيتها مزيج عجيب من الثقافات والمواهب ••  
وروحها مغناطيسية •

وكانما حولها مجال غير منظور اذا وقعت فى نطاق  
جاذبيته لا تستطيع أن تبرحه وانما تظل تدور وتدور فيه  
كما تدور الأقمار حول النجوم •

وقد رأيت نفسى أدور حولها فلا أستطيع الافلات •  
ورأيت نفسى سائر الى احدى نهايتين أن أقترن بها أو  
أحترق فيها •

ولكنها متزوجة •• وزوجها يعبدها ولن يطلقها بحال •

وتحت سماء استوائية تغرد فيها العصافير الملونة وترقص  
الفرشات •

كان هذا يا سادة هو الفصل الثاني من قصة أذكي رجل  
في العالم •

ودعوني أحكى لكم الفصل الثالث والختامي وكان  
رحلة شاعرية خرج فيها العشيقان لقضاء الويك اند على  
شواطئ بحيرة « ليك مانيارا » في فندق البامبو الجميل ••  
وهو أحد المفاتن الذي يقصده أصحاب الملايين وأهل الفن  
والذوق للاستمتاع بالموسيقى والحب والرقص والطعام  
الشهي والخمر الجيدة في بيئة طبيعية ساحرة ترح فيها  
الوحوش والغزلان •

والطريق الى ليك مانيارا تصعد فيه السيارة جبالا  
شاهقة •• وقمما معممة بالضباب •

وكان صاحبنا يقود السيارة وهو يصفر بفمه لحنا  
شعبيا ويحتضن محبوبته ويشير الى الخور السحيق الذي  
يهوى اليه البصر على جانب الطريق •• وفي أقصى القاع  
يفترش الأرض دغل طبيعي من نباتات وحشية ذات تلافيف  
متعانقة متشابكة في معترك من الأغصان والأوراق والأزهار

وهي لا تحبه ولكنها لا تملك أن تطلق نفسها منه •  
وضاقت دنياى الواسعة حتى أصبحت زنازة •

وفارقتى قوتى •

وهجرنى ذكائى •

وبكيت كطفل •

وعشت لحظات كالجنون •

كانت تقول لى •• نهرب •

وتتشبث بعنقى وتهمس وهى تبكى •• اخطفنى •

ثم مع الوقت والعادة أصبحت هذه الكلمات المجنونة  
هى العقل والمعقول بالنسبة لنا •

أصبحنا نرى بقية العالم مجانين لأنه لا يرى ما نراه •

وأصبحنا نرى الدنيا مسكنا للبلادة والخمول والغباء

والسخف ولم نعد نجد لأنفسنا مكانا فى هذه الدنيا •

وبدأت تختمر فى ذهنى فكرة الهجرة والهرب بها •

وكانت لى أعمال فى السودان وكينيا وأوغندة •

ورأيت نفسى ذات ليلة ودون أن أدري أخرج بها بجواز

سفر مزور طائرا الى السودان •• ومن السودان الى كينيا •

وقضينا شهر العسل فى نيروبي بين مغانى الغابة العذراء

تتوه في العين فلا تتبين أرضا .. وانما خضرة متكاتفه على خضرة .

منظر خلاب أخاذ يصيب الرأس بالدوار .  
وقد دارت رأسا الاثني بخمرة النظر .  
وذا باجا .

والتقت الشفاه على ارتفاع تسعة آلاف قدم وسقطت  
العربة في حفرة وفي لحظة خاطفة كانت تتدحرج في الخور  
كالقذيفة .

وبعد دقيقة كانت تستقر على القاع محطمة .

أما هو فكان راقدا في وعيه ولكن بلا حراك بسبب  
كسور في عظام الحوض .

أما هي فكانت تهمس وتتلوى ثم تفقد الوعي بسبب  
النزيف ثم تعود فتفنيق فتعود الى الهمس المخنوق والتأوه  
وكان سقوطهما وسط مستعمرة للنمل الأحمر .

وزحفت عليهما جيوش النمل .

نعم يا سادة أكلهما النمل وهما أحياء فاقتدا الحراك ينظر  
كل منهما الى الآخر ولا يقوى على الصراخ .. ولا يقوى  
على الدفاع عن نفسه .

وانتهت قصة أذكي رجل وأجمل امرأة .

ولم يبق أثر للقصة سوى ذلك الاعلان المتكرر في  
جميع الجرائد الذي ظل ينشر بالقاهرة على مدى أسابيع  
عن السيدة التي خرجت من بيتها ولم تعد ومعه نشرة كاملة  
بأوصافها .. ببيضاء نحيلة سوداء الشعر زرقاء العينين في  
جاكيت وبنطالون من القطيفة السوداء وكرافات تركواز ،  
وعلى من يتعرف عليها الاتصال بالتليفون كذا .

وكان القراء يقرؤون الاعلان كل يوم .. ولم يكن أحد  
منهم يعلم أنها أصبحت هي وصاحبها فتاتا في بطن ستمائة  
ألف نملة من النمل الأحمر في وسط افريقيا الاستوائية .

انه صاحب الجلالة الموت .

والكل في غفلة ..

٧ - لغز الموت :

دراسة كتبت في عام ١٩٥٨ - ١٩٥٩

٨ - لغز الحياة :

دراسة كتبت في عام ١٩٦٧

٩ - الاحلام :

دراسة كتبت في عام ١٩٦١

١٠ - اينشتين والنسبية :

دراسة كتبت في عام ١٩٦١

١١ - في الحب والحياة :

مجموعة مقالات كتبت بين ١٩٦١ - ١٩٦٦

١٢ - يوميات نص الليل :

١٣ - المستحيل :

رواية كتبت في عام ١٩٦٥

١٤ - الأفيون :

رواية كتبت في عام ١٩٦٤

١٥ - العنكبوت :

رواية كتبت في أوائل عام ١٩٦٥

## \* صدر للمؤلف \*

١ - الله والانسان :

مجموعة مقالات كتبت في صيف ١٩٥٥

٢ - أكل عيش :

مجموعة قصص قصيرة كتبت بين ١٩٥٢ - ١٩٥٤

٣ - عنبر ٧ :

مجموعة قصص قصيرة كتبت بين ١٩٥٥ - ١٩٥٧

٤ - شلة الأنس :

مجموعة قصص قصيرة كتبت بين ١٩٦٢ - ١٩٦٤

٥ - رائحة الدم :

مجموعة قصص قصيرة كتبت بين ١٩٦٥ - ١٩٦٦

٦ - ابليس :

دراسة كتبت في عام ١٩٥٧ - ١٩٥٨

- ٢٥ - المدينة (أو حكايات مسافر) :  
مجموعة سفريات الى أوروبا بين ١٩٥٦ - ١٩٦٨
- ٢٦ - اعترفوا لي :  
مختارات من رسائل القراء بين ١٩٥٦ - ١٩٥٩
- ٢٧ - ٥٥ مشكلة حب :  
مختارات من رسائل القراء بين ١٩٦٠ - ١٩٦٦
- ٢٨ - اعترافات عشاق :  
مختارات من رسائل القراء بين ١٩٥٦ - ١٩٦٦
- ٢٩ - القرآن محاولة لفهم عصرى :  
دراسة كتبت في شتاء ١٩٦٩
- ٣٠ - رحلتى من الشك الى الايمان :  
دراسة كتبت في عام ١٩٧٠
- ٣١ - الطريق الى الكعبة :  
رحلة حج كتبت في عام ١٩٧١
- ٣٢ - الله :  
دراسة كتبت في أوائل ١٩٧٢
- ٣٣ - التوراة :  
دراسة كتبت في أوائل ١٩٧٢

- ١٦ - الخروج من التابوت :  
رواية كتبت في أوائل عام ١٩٦٥
- ١٧ - رجل تحت الصفر :  
رواية كتبت في عام ١٩٦٦
- ١٨ - الاسكندر الأكبر :  
مسرحية كتبت في صيف ١٩٦٣
- ١٩ - الزلزال :  
مسرحية كتبت في صيف ١٩٦٣
- ٢٠ - الانسان والظل :  
مسرحية كتبت في عام ١٩٦٤
- ٢١ - غوما :  
مسرحية كتبت في شتاء ١٩٦٨
- ٢٢ - الشيطان يسكن في بيتنا :  
مسرحية كتبت في أبريل ١٩٧٣
- ٢٣ - الفأبة :  
رحلة الى أفريقيا الاستوائية كتبت في أكتوبر ١٩٦٣
- ٢٤ - مغامرة في الصحراء :  
رحلة الى الصحراء الكبرى في صيف ١٩٦٩

- ٤٣ - الوجود والعدم :  
دراسة ١٩٧٧
- ٤٤ - من أسرار القرآن :  
دراسة ١٩٧٧
- ٤٥ - لماذا رفضت الماركسية :  
دراسة ١٩٧٦
- ٤٦ - نقطة الغليان :  
مجموعة قصص قصيرة ١٩٧٧
- ٤٧ - عصر القروء :  
دراسة كتبت في يناير ١٩٧٨
- ٤٨ - القرآن كائن حي :  
دراسة كتبت في يناير ١٩٧٨
- ٤٩ - أكلوبة اليسايه الاسلامي :  
دراسة كتبت في أغسطس ١٩٧٨
- ٥٠ - المسيح الدجال :  
مجموعة قصص قصيرة كتبت بين ١٩٧٨ - ١٩٧٩
- ٥١ - نار تحت الرماد :  
مجموعة مقالات كتبت في ١٩٧٩

- ٣٤ - الشيطان يحكم :  
مجموعة مقالات كتبت بين ١٩٦٥ - ١٩٧٠
- ٣٥ - رأيت الله :  
دراسة كتبت في صيف ١٩٧٣
- ٣٦ - الروح والجسد :  
مجموعة مقالات كتبت في شتاء ١٩٧٣
- ٣٧ - حوار مع صديقي الملحد :  
مجموعة مقالات كتبت في مارس ١٩٧٤
- ٣٨ - الماركسية والاسلام :  
صدر عن دار المعارف في فبراير سنة ١٩٧٥
- ٣٩ - محمد :  
صدر عن دار المعارف في يوليو ١٩٧٥
- ٤٠ - السر الأعظم :  
صدر عن دار المعارف في ديسمبر ١٩٧٥
- ٤١ - الطوفان :  
مجموعة قصص ومسرحيات قصيرة يناير ١٩٧٦
- ٤٢ - الأفيون :  
سيناريو وحوار مارس ١٩٧٦



## \* مجموعات المؤلف الكاملة \*

قصص مصطفى محمود :

صدرت في بيروت عام ١٩٧٢

روايات مصطفى محمود :

صدرت في بيروت عام ١٩٧٢

مسرحيات مصطفى محمود :

صدرت في بيروت عام ١٩٧٢

رحلات مصطفى محمود :

صدرت في بيروت عام ١٩٧٢

حازت رواية « رجل تحت الصفر » على جائزة الدولة

لعام ١٩٧٠

## \* تحت الطبع \*

أفانثيد الاثم والبراءة

١٤٢

### المطبعة العربية الحديثة

٨ شارع ٤٧ بالمنطقة الصناعية بالعجاسية  
تليفون : ٨٣٦٢٨٠ القاهرة

رقم الإيداع ٧٩/٤٣٢٤

التسجيل الدولي ٣ - ٢٦٧ - ٢٥٦